دَلالَةُ ظَاهِرَتَيِّ التَثْنِيَةِ والتَصْغِيْرِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ

د. فرهاد عزيز محيي الدين
مدرس
كلية التربية / جامعة كركوك

مُلَخَّصُ البَحْثِ

تَنَاوَلَ هَذا البَحْثُ دِرَاسَةَ دَلالَةِ ظَاهِرَتَي التَّثْنِيَةِ وَالتَّصْغِيْرِ فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ ، إِذْ بَيَّنَتْ الدِّراسَةُ أَنَّ ظَاهِرَةَ التَّثْنِيَةِ فِي الأَمْثَالِ كَانَتْ لَهَا دَلالَةٌ خَاصَةٌ ، فَمُعْظَمُ أَلْفَاظِ التَّثْنِيَةِ الَّتِيْ وَرَدَتْ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ لَمْ تَكُ تَثْنِيَتُهَا مِنْ بَابِ المُثَنَّى الحَقِيْقِيِّ ، بَلْ كَانَتْ مُلْحَقَةً بِالمُثَنَّى ؛ بِسَبَبِ فَقْدِهَا شَرْطاً مِنْ شُرُوطِ المُثَنَّى الحَقِيْقِيِّ ، كَـ"القَمَرَيْنِ" ، وَ"العُمَرَيْنِ" ، وَ"البَصْرَتَيْنِ" ، وَ"الأَبْيَضَيْنِ" ... إلخ .
وَكَشَفَتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ تَثْنِيَةَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ كَانَتْ مِنْ أَجْلِ الإِيْجَازِ ، أَيْ أَنَّهَا أُلْحِقَتْ بِالمُثَنَّى مِنْ أَجْلِ الإِيْجَازِ الَّتِيْ فِيْهِ ، إِذْ يَتُمُّ فِيْهِ التَّعْبِيْرُ بِلَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ عَنْ لَفْظَتَيْنِ ، وَلِهَذَا كَثُرَتْ مِثْلَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ المُثَنَّاةِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ ؛ لأَنَّهَا تَنْسَجِمُ وَتَتَوَافَقُ مَعَ مَنْطِقِ الأَمْثَالِ القَائِمِ عَلَى الإِيْجَازِ أَيْضاً ، فَهِيَ عِبَارَاتٌ مُوْجَزَةٌ تَحْمِلُ دَلالاتٍ كَثِيْرَةٍ .
وَبَيَّنَتِ الدِّرَاسَةُ أَيْضاً شُيُوْعَ ظَاهِرَةٍ أُخْرَى فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ وَهُوَ التَّصْغِيْرُ ، فَقَدْ بَيَّنَ النُحَاةُ مَجِيءَ التَّصْغِيْرِ عَلَى دَلالاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَكَشَفَتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ الأَلْفَاظَ المُصَغَّرَةِ الَّتِيْ جَاءَتْ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ كَانَتْ بِدَلالاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَيْضاً ، بَلْ زَادَتْ عَنْ دَلالاتِ التَّصْغِيْرِ الَّتِيْ اتَّفَقَ النُحَاةُ عَلَيْهَا . فَدَلالاتُ التَّصْغِيْرِ الَّتِيْ جَاءَتْ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ هِيَ : (التَّحْقِيْرُ ، وَالتَّصْغِيْرُ ، وَالتَّعْظِيْمُ ، وَالتَّقْلِيْلُ ، وَالتَّقْرِيْبُ) .

المُقَدِّمَةُ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ ...
أَمَّا بَعْدُ :
فَتُحَاوِلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ أَنْ تُسَلِّطَ الضَوْءَ عَلَى دَلالَةِ ظَاهِرَتَي التَّثْنِيَةِ والتَّصْغِيْرِ فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ ، فَالأَمْثَالُ تُعَدُّ رَافِداً أَسَاسِيّاً مِنْ رَوَافِدِ العَرَبِيَّةِ ، فَهِيَ المِرْآةُ الَّتِيْ تَرْتَسِمُ فِيْهَا تَجَارِبُ الشُّعُوْبِ ، وَهِيَ اللُّغَةُ الَّتِيْ صَدَرَتْ عَنِ الأُمَمِ وَالشُعُوْبِ بِكُلِّ طَبَقَاتِهَا وَمُسْتَوَيَاتِهَا (مِنْهُمُ العَامَّةُ ، وَمِنْهُمُ العُلَمَاءُ ، أَوِ الشُّعَرَاءُ) ؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ عِبَارَاتُهَا مُلَوَّنَةً بِكُلِّ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوْبِ هَذِهِ الثَّقَافَاتِ .
إِنَّ عِبَارَاتِ الأَمْثَالِ غَنِيَّةٌ بِالعَدِيْدِ مِنَ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ النَّادِرَةِ ، مِمَّا دَعَانَا إِلَى دِرَاسَةِ دَلالَةِ ظَاهِرَتَيْنِ غَنِيَتْ بِهِمَا الأَمْثَالُ العَرَبِيَّةُ ، وَهُمَا : (التَّثْنِيَةُ) وَ (التَّصْغِيْرُ) .
وَقَدْ اقْتَضَتْ طَبِيْعَةُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ أَنْ تُقَسَّمَ عَلَى مَبْحَثَيْنِ ، كَانَ المَبْحَثُ الأَوَّلُ بِعِنْوَانِ : ((دَلالَةُ ظَاهِرَةِ التَّثْنِيَةِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ)) ، واشْتَمَلَ عَلَى مَطْلَبَيْنِ : الأَوَّلُ لِظَاهِرَةِ التَّثْنِيَةِ فِي العَرَبِيَّةِ ، والثَّانِي لِدَلالَةِ التَّثْنِيَةِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ . أَمَّا المَبْحَثُ الثَّانِي فَكَانَ بِعِنْوَانِ : ((دَلالَةُ ظَاهِرَةِ التَّصْغِيْرِ فِي الأَمْثَالِ

العَرَبِيَّـةِ)) ، وَاشْـتَمَلَ عَلَـى مَطْلَبَـيْنِ أَيضَـاً : كَـانَ الأَوَّلُ لِظَـاهِرَةِ التَّصْـغِيْرِ فِـيْ العَرَبِيَّـةِ ، وَالثَّـانِي لِدَلاَلَـةِ التَّصْغِيْرِ فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ
((دَلاَلَةُ ظَاهِرَةِ التَّثْنِيَةِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ))

أَوَّلاً : ظَاهِرَةُ التَّثْنِيَةِ فِي العَرَبِيَّةِ :

المُثَنَّى : هُوَ مَا دَلَّ عَلَى اثْنَيْنِ أَو اثْنَتَيْنِ بِزِيَادَةِ أَلِفٍ وَنُوْنٍ عَلَى آخِرِهِ فِيْ حَالَةِ الرَّفْعِ ، أَوْ يَاءٍ وَنُوْنٍ فِيْ حَالَتَي النَّصْبِ والجَرِّ ، صَالِحَاً لِلتَجْرِيْدِ ، وَعَطْفِ مِثْلِهِ عَلَيْهِ مِنْ دُوْنِ اخْتِلافٍ فِيْ المَعْنَى [١] . فَأَصْلُ التَّثْنِيَةِ الْعَطْفُ ، فَأَصْلُ قَوْلِهِمْ : جَاءَ الرَّجُلانِ : جَاءَ الرَّجُلُ والرَّجُلُ ، إلاَّ أَنَّهُمْ حَذَفُوْا حَرْفَ الْعَطْفِ والْمَعْطُوْفَ ، وزَادُوْا عَلَى الْمَعْطُوْفِ عَلَيْهِ أَلِفَاً ونُوْنَاً ، طَلَبَاً لِلإِيْجَازِ ، وَهُوَ صَالِحٌ لِلتَّجْرِيْدِ مِنْهُمَا.

فِي التَّحْوِيْلِ إِلَى الْمُثَنَّى يُزَادُ عَلَى الاسْمِ الْمُفْرَدِ أَلِفٌ ونُوْنٌ مَكْسُوْرَةٌ فِي الرَّفْعِ ، ويَاءٌ ونُوْنٌ فِي النَّصْبِ والْجَرِّ ، ويُفْتَحُ مَا قَبْلَ الأَلِفِ والْيَاءِ ، والْتَزَمُوْا كَسْرَ النُّوْنِ لِئَلاَّ يَلْتَبِسَ الْمُثَنَّى الصَّحِيْحُ بِجَمْعِ الْمَقْصُوْرِ فِي النَّصْبِ والْجَرِّ ، ألا تَرَى انَّكَ تَقُوْلُ فِي جَمْعِ مُصْطَفَى : رَأَيْتُ الْمُصْطَفَيْنَ ، وَهُوَ كَلَفْظِ الزَّيْدَيْنِ ، فَلِكَي لا يَلْتَبِسَ هَذا الْمُثَنَّى بِذَاكَ الْجَمْعِ كَسَرُوْا نُوْنَ التَّثْنِيَةِ وفَتَحُوْا الأُخْرَى .

وَيُلْحَقُ بِالْمُثَنَّى فِي إِعْرَابِهِ أَرْبَعَةُ أَلْفَاظٍ ، هِيَ : اثْنَانِ واثْنَتَانِ ، وكِلا وكِلْتَا مُضَافَيْنِ إِلَى ضَمِيْرِ(هُمَا) ، فَإِنْ أُضِيْفَا إِلَى ظَاهِرٍ لَزِمَتْهُمَا الأَلِفُ وأُعْرِبَا بِحَرَكَاتٍ مُقَدَّرَةٍ عَلَى الأَلِفِ كَإِعْرَابِ الْمَقْصُوْرِ ، يُقَالُ: جَاءَ الرَّجُلانِ كِلاهُمَا ، ورَأَيْتُ الرَّجُلَيْنِ كِلَيْهِمَا ، ومَرَرْتُ بالرَّجُلَيْنِ كِلَيْهِمَا ، وجَاءَ كِلا الرَّجُلَيْنِ ، ورَأَيْتُ كِلا الرَّجُلَيْنِ ، ومَرَرْتُ بِكِلا الرَّجُلَيْنِ ، ولَمَّا كَانَ لَفْظُ (كِلا وكِلْتَا) مُفْرَدَاً ومَعْنَاهُمَا مُثَنَّى أُجِيْزَ فِي ضَمِيْرِهِمَا اعْتِبَارُ الْمُثَنَّى فَيُثَنَّى ، واعْتِبَارُ اللَّفْظِ فَيُفْرَدُ ، وَهَذا الأَخِيْرُ أَكْثَرُ ، وبِهِ جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ [٢] ، ولَمْ يَقُلْ آتَتَا [٣] .

لا تُثَنَّى أَلْفَاظُ الْعَدَدِ وَلا تُجْمَعُ لِلاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمَا بِمُضَاعَفَاتِهَا مَا عَدَا الْمِئَةِ والأَلْفِ إِذْ يُثَنَّيَانِ ويُجْمَعَانِ ، يُقَالُ : مِئَتَانِ وأَلْفَانِ ، ومِئَاتٌ ومِئُوْنَ ، وأُلُوْفٌ وآلافٌ .

قَدْ يُثَنَّى الْجَمْعُ عَلَى تَأْوِيْلِ الْجَمَاعَتَيْنِ أَوِ الْفِرْقَتَيْنِ أَوِ النَّوْعَيْنِ ، نَحْوُ : رَهْطٍ ورَكْبٍ وقَوْمٍ ، وشَعْبٍ وجَيْشٍ وجُنُوْدٍ ، وإِبِلٍ وخَيْلٍ وغَنَمٍ وجِمَالٍ ، تَقُوْلُ : رَهْطَانِ ورَكْبَانِ وقَوْمَانِ ، إِذَا أَرَدْتَ ضَمَّ رَهْطٍ إِلَى رَهْطٍ ، ورَكْبٍ إِلَى رَكْبٍ ، وقَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ ، وكَذَا تَقُوْلُ : شَعْبَانِ وجَيْشَانِ وجُنُوْدَانِ وإِبِلانِ وخَيْلانِ وغَنَمَانِ وجِمَالانِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ [٤] .

ويُشْتَرَطُ فِي كُلِّ اسْمٍ يُثَنَّى شُرُوْطٌ :

١- أَنْ يَكُوْنَ مُفْرَدَاً ، فَلا يُثَنَّى الْمُثَنَّى ولا الْجَمْعُ ، فَلا يُقَالُ فِي (رَجُلانِ) : رَجُلانَانِ ، وَلا فِي (الزَّيْدُوْنَ) : الزَّيْدُوْنَانِ .

٢- أَنْ يَكُوْنَ مُعْرَبَاً لا مَبْنِيَّاً ، وأَمَّا هَذَانِ وهَاتَانِ واللَّذَانِ واللَّتَانِ فَلَيْسَتْ بِمُثَنَّى عَلَى الصَّحِيْحِ ، وإِنَّمَا هِيَ عَلَى صُوْرَةِ الْمُثَنَّى ، فَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الأَلِفِ رَفْعَاً ، وعَلَى الْيَاءِ نَصْبَاً وجَرَّاً ، ولَيْسَتْ مُعْرَبَةً بِالأَلِفِ رَفْعَاً وبِالْيَاءِ نَصْبَاً وجَرَّاً ، لأَنَّ أَسْمَاءَ الإِشَارَةِ والْمَوْصُوْلَةِ مَبْنِيَّةٌ لا مُعْرَبَةٌ ، ومِنْهُمْ مَنْ يُعْرِبُهَا إِعْرَابَ الْمُثَنَّى [٥] .

٣- أَنْ يَتَّفِقَ الاسْمَانِ لَفْظَاً ومَعْنَى ، فَلا يُقَالُ : الْعُمَرَانِ ، فِي عُمَرَ وعَمْرٍو، لاخْتِلافِهِمَا وَزْنَاً ، وكَذَا لا يُقَالُ : الْعُمَرَانِ ، فِي أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) ، لِعَدَمِ اتِّفَاقِهِمَا فِي اللَّفْظِ ، وإِذَا قِيْلَ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ كَمَا قَالُوْا : الأَبَوَانِ ، لِلأَبِ والأُمِّ ، والْقَمَرَانِ ، لِلْقَمَرِ والشَّمْسِ ، وَلا يُقَالُ : الْعَيْنَانِ ، لِلْعَيْنِ الْبَاصِرَةِ والْعَيْنِ الْجَارِيَةِ أَوْ لِقُرْصِ الشَّمْسِ ، لِلاخْتِلافِ مَعْنًى ، وأَجَازَ ذَلِكَ قَوْمٌ [٦] .

٤- أنْ يَكُوْنَ للاسْمِ مُمَاثِلٌ ، أيْ ثَانٍ فِي الْوُجُوْدِ ، فَلا يُثَنَّى الْقَمَرُ وَلا الشَّمْسُ لِعَدَمِ الْمُمَاثَلَةِ ، فَإنْ ثُنِّيَ وقِيْلَ : الْقَمَرَانِ ، لِلْقَمَرِ والشَّمْسِ ، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ .

وَقَدْ وَرَدَتْ جُمْلَةٌ مِنَ هذِهِ الأَلْفَاظِ فِيْ العَرَبِيَّةِ فَأُلْحِقَتْ بالمُثَنَّى ؛ لأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى اثْنَيْنِ أَوِ اثْنَتَيْنِ ، لَكِنَّ المُثَنَّيَيْنِ مُخْتَلِفَانِ لَفْظاً وَمَعْنَىً ، كَـ"الأَبَوَيْنِ" لِلأَبِ وَالأُمِّ . أَوْ مُخْتَلِفَانِ فِيْ حَرَكَاتِ أَحْرُفِهِمَا كَـ"العُمَرَيْنِ" ، لِلدَلاَلَةِ عَلَى عُمَرِ بنِ الخَطَّابِ ، وعَمْرِو بنِ هِشَامٍ (المَعْرُوْفِ بِأَبِي جَهْلٍ) . أَوْ مُخْتَلِفَانِ فِيْ المَعْنَى دُوْنَ الحُرُوفِ وَحَرَكَاتِهَا كَـ"العَيْنَيْنِ" الَّتِيْ يُرَادُ بِإِحْدَاهُمَا : العَيْنُ البَاصِرَةُ ، وبالأُخْرى : البِئْرُ [٧] .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إلى أَنَّ هَذَا الضَرْبَ مِنَ التَثْنِيَةِ غَيْرُ قِيَاسِيٍّ ، وَإِنَّمَا يُعْتَمَدُ فِيْهِ عَلَى السَّمَاعِ فَيُحْفَظُ وَلاَ يُقَاسُ عَلَيْهِ ، إِذْ قَالُوا : ((... وَمِنْهَا مَا لاَ يُصْلَحُ لِعَطْفِ مِثْلِهِ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ مَا كَانَ عَلَى سَبِيْلِ التَّغْلِيْبِ كالأَبَوَيْنِ : للأَبِ والأُمِّ ، والقَمَرَيْنِ: للشَّمْسِ والقَمَرِ ، والعُمَرَيْنِ : لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَر ، وَهَذَا النَّوْعُ مَسْمُوْعٌ يُحْفَظُ ، وَلاَ يُقَاسُ عَلَيْهِ)) [٨] . والحَقِيْقَةُ أَنَنَا نَتَّفِقُ مَعَ أَحَدِ البَاحِثَيْنِ عَلَى قِيَاسِيَّةِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِيْ الكَلاَمِ العَرَبِيِّ ؛ وَذَلِكَ ((لِشُيُوعِهَا فِيْ العَرَبِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الشَّوَاهِدُ الَّتِيْ تَدُوْرُ فِيْ فَلَكِ مَسَائِلَ كَثِيْرَةٍ ؛ وَلِأَنَّ التَّوَسُّعَ مِنْ سِمَاتِ العَرَبِيَّةِ ، إِذْ يَشِيْعُ فِيْهَا الحَذْفُ ، والتَّقْدِيْمُ ، والتَّأْخِيْرُ ، والحَمْلُ عَلَى المَعْنَى ، وَوَضْعُ لَفْظَةٍ مَوْضِعَ أُخْرَى ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ المَسَائِلِ الَّتِيْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ العَرَبِيَّةَ لُغَةٌ حَيَّةٌ مُتَطَوِّرَةٌ لاَ لُغَةٌ جُمُوْدٌ ، عَلَى أَنْ لاَ تُتَنَاسَى القَوَاعِدُ وَالأُصُوْلُ وَالشَّوَاهِدُ الفَصِيْحَةُ الثَّرَّةُ بِحُجَّةِ التَّطْوِيْرِ والتَّطَوُّرِ)) [٩] . فَضْلاً عَنْ أَنَّ القُدَامَى والمُحْدَثِيْنَ مِنَ النَّحْوِيِيْنَ لَمْ يُشِيْرُوا إلى قِيَاسِيَّةِ أَوْ غَيْرِ قِيَاسِيَّةِ ظَاهِرَةِ التَّغْلِيْبِ فِيْ التَّثْنِيَةِ إلاَّ "السُيُوْطِيّ" ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ تُوْحِيْ بِأَنَّهَا قِيَاسِيَّةٌ لِعَدَمِ نَصِّهِمْ عَلَيْهَا ، إِذْ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَنَصُّوْا عَلَيْهَا مِثْلَمَا نَصُّوْا عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الظَّوَاهِرِ كَالشُّذُوْذِ ، والضَّرُوْرَةِ الشِّعْرِيَّةِ ، والنُّدْرَةِ ، وَكِثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ، والتَّعْوِيْضِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ظَوَاهِرِ العَرَبِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ [١٠] .

وَقَدْ وَرَدَتْ جُمْلَةٌ أُخْرَى مِنَ الأَلْفَاظِ أُلْحِقَتْ بِالمُثَنَّى ؛ لِعَدَمِ صَلاَحِيَّةِ التَّجْرِيْدِ ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ : " سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ الأَيْهَمَيْنِ " ، وَهُمَا السَّيْلُ وَالْجَمَلُ الهَائِجُ ، و" جَنَّبَكَ اللهُ الأَمَرَّيْنِ " ، هُمَا الفَقْرُ والعُرِي ، وَ " كَفَاكَ أَمْرَ الأَجْوَفَيْنِ " ، هُمَا البَطْنُ والفَرْجُ ، وَ " أَذَاقَكَ البَرْدَيْنِ " هُمَا العَافِيَةُ وَالغِنَى ، وَ " الثَّقَلاَنُ " : الجِنُّ والإِنْسُ [١١] .

فَالعَرَبِيَّةُ تُعَبِّرُ عَنْ شَيْئَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ بِالتَّغْلِيْبِ ؛ وَذَلِكَ كَأَنْ يَكُوْنَا اسْمَيْنِ نَحْوُ "القَمَرَيْنِ" للشَّمْسِ والقَمَرِ ، أَوْ مَكَانَيْنِ نَحْوُ "البَصْرَتَيْنِ" للبَصْرَةِ والكُوْفَةِ . إِذْ يُصَارُ إِلَى تَغْلِيْبِ أَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ إِمَّا مِنْ حَيْثُ الشُّهْرَةُ ، وَإِمَّا الخِفَّةُ ، وَإِمَّا تُغْلَبُ المُذَكَّرُ مِنْهُمَا [١٢] .

فَالشَّائِعُ عِنْدَ العَرَبِ تَغْلِيْبُ الأَقْوَى وَالأَقْدَرِ عَلَى غَيْرِهِ فِيْ التَّثْنِيَةِ وَذَلِكَ كَـ" الأَبَوَيْنِ " للأَبِ وَالأُمِّ . وَتَارَةً يُغَلِّبُوْنَ الأَخَفَ نُطْقاً كَـ "العُمَرَيْنِ" لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَر . وَتَارَةً أُخْرَى يُغَلِّبُوْنَ الأَعْظَمَ وَالأَكْبَرَ فِيْ اتِسَاعِهِ أَوْ ضَخَامَتِهِ ، كَتَغْلِيْبِ البَحْرِ عَلَى النَّهْرِ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِيْ البَحْرَانِ ، هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [١٣] ، فَفِيْ الآيَةِ تَغْلِيْبٌ لِلْبَحْرِ عَلَى النَّهْرِ . وَيَكْثُرُ عِنْدَهُمْ تَغْلِيْبُ المُذَكَّرِ عَلَى المُؤَنَّثِ كَالقَمَرَانِ ، لِلشَّمْسِ والقَمَرِ ، وَلَمْ يَغْلِبُوْا المُؤَنَّثَ إِلاَّ فِيْ حَالاَتٍ قَلِيْلَةٍ ، أَشْهَرُهَا :

١- قَوْلُهُمْ : "ضَبُعَانِ" ، يُرِيْدُونَ بِهَا الضَّبُعَ الأُنْثَى وَفَحَلَهَا ؛ لأَنَّ الضَّبُعَ يَعْنِي : الأُنْثَى مِنَ الضِّبَاعِ ، ويُقَالُ لِلذَّكَرِ : ضِبْعَانٌ [١٤] . فَاخْتَارُوْا اللَفْظَ الأُنْثَى مِنْ دُوْنِ الذَكَرِ وَثَنَّوْهُ ، ثُمَّ أَطْلَقُوْهُ عَلَيْهِمَا مَعَاً ؛ وَذَلِكَ تَغْلِيْباً لِلأُنْثَى عَلَى الذَّكَرِ .

٢- قَوْلُهُمْ : "المَرْوَتَانِ" : وَيُرِيْدُنَ بِهَا الصَّفَا وَالمَرْوَةَ ، وَهُمَا جَبَلاَنِ بِمَكَّةَ [١٥] . والتَّغْلِيْبُ لِلْمَرْوَةِ المُؤَنَّثَةِ .

وَقَدْ كَانَ اخْتِلافُ النُّحَاةِ فِيْ هَذَا الضَرْبِ مِنَ التَّثْنِيَةِ عَلَى ثَلاَثَةِ مَذَاهِبَ [١٦] :

الأَوَّلُ : يَرَى مَنْعَهُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ "الأَخْفَشِ" ، وأَكْثَرِ المُتَأَخِّرِيْنَ .

الثَّانِيْ : يَرَى جَوَازَهُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ "الأَنْبَارِيِّ" و"ابْنِ مَالِك" ؛ وَذَلِكَ اسْتِنَاداً عَلَى قَوْلِ العَرَبِ : " القَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ " و " اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ " .

الثَّالِثُ : يَرَى جَوَازَهُ بِشَرْطِ اتِّفَاقِ المَعْنَى المُوْجِبِ لِلْتَّسْمِيَةِ .
وَمِنْ أَمْثِلَةِ هَذَا الضَرْبِ مِنَ التَّثْنِيَةِ ، قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَالَيْتَ بَيْنِيْ وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ ﴾ (١٧) ، إِذْ قَالُوا فِي مَعْنَى "المَشْرِقَيْنِ" : مَشْرِقُ الشَّمْسِ فِيْ الصَّيْفِ وَمَشْرِقُهَا فِيْ الشِّتَاءِ . وَقِيْلَ مَعْنَاهَا : المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ ؛ لأَنَّ العَرَبَ قَدْ تَجْمَعُ الاسْمَيْنِ عَلَى تَسْمِيَةِ أَشْهَرِهِمَا (١٨) .
وَعَبَّرُوا عَنِ "البَصْرَةِ وَالكُوْفَةِ" فَقَالُوا : "البَصْرَتَانِ" (١٩) ، فَالبَصْرَةُ عِنْدَهُمْ أَهَمُّ وَأَشْهَرُ مِنَ الكُوْفَةِ . وَ"المُوْصِلاَنِ " : تَعْنِيْ عِنْدَهُمْ " المُوْصِلُ والجَزِيْرَةُ " ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ الشَّاعِرُ فِيْ قَوْلِهِ :

فَبَصْرَةُ الأُزْدِ مِنَّا وَالعِرَاقُ لَنَا وَالمُصِلاَنِ وَمِنَّا مِصْرُ وَالحَرَمُ (٢٠)

وَعَبَّرُوا عَنْ بَعْضِ أَشْهُرِ السَّنَةِ بِهَذِهِ الصِّيْغَةِ ، فَقَالُوا : "الصَّفَرَانِ" ، أَو "المُحَرَّمَانِ" وَهُمْ يُرِيْدُونَ بِهِمَا شَهْرَيْ صَفَرٍ وَالمُحَرَّمِ (٢١) .
وَقَدْ تَكُوْنُ التَّثْنِيَةُ مِنْ حَيْثُ المَعْنَى ، إِذْ يُعَبِّرُوْنَ عَنْ عَلَمَيْنِ بِمَا اشْتَهَرَا أَوْ وُصِفَا بِهِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَوْ لاَ نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيْمٍ ﴾ (٢٢) ، يعني : "مَكَّةَ وَالطَّائِفَ " . وَقَوْلُهُمْ : " الرَّافِدَانِ " : يَعْنِيْ " دِجْلَةَ وَالفُراتَ " . و " الأَصْغَرَانِ " فِيْ قَوْلِهِمْ : " إِنَّمَا المَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ " يَعْنِيْ : "قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ . و " الأَحْمَرَانِ" الخَمْرُ واللَّحْمُ (٢٣) .

ثَانِياً : دَلاَلَةُ التَّثْنِيَةِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ

إِنَّ الأَمْثَالَ العَرَبِيَّةَ غَنِيَّةٌ بِكَثِيْرٍ مِنَ العَنَاصِرِ الفَنِّيَةِ الَّتِيْ تُحَفِّزُ المَرْءَ لِلإِقْبَالِ عَلَيْهَا ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ أُسْلُوْبِهَا الجَمِيْلِ وَبَلاَغَتِهَا الأَصِيْلَةِ ، وَمَجَازِهَا المُؤَثِّرِ فِيْ العَقْلِ وَالخَيَالِ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ضَرَبَ بِهَا اللهُ تَعَالَى فِيْ كِتَابِهِ العَزِيْزِ ، وَاسْتَشْهَدَ بِهَا فِيْ مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ لإِقْنَاعِ النَّاسِ وَمَوْعِظَتِهِمْ فِيْ أُمُوْرِ الدُّنْيَا مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ (٢٤) . وَفِيْ ذَلِكَ يَقُوْلُ "الْجَاحِظُ" (ت٢٥٥هـ) : ((وَلَنْ تَجِدُوا وَصَايَا أَنْبِيَاءِ اللهِ إِلاَّ مُبَيَّنَةَ الأَسْبَابِ ، مَكْشُوْفَةَ العِلَلِ ، مَضْرُوْبَةً مَعَهَا الأَمْثَالُ)) (٢٥) .
وَإِلَى هَذَا يَذْهَبُ "أَبُوْ هِلاَلٍ العَسْكَرِيِّ " (ت٣٩٥هـ) حِيْنَ يَقُوْلُ : ((مَا رَأَيْتُ حَاجَةَ الشَّرِيْفِ إِلَى شَيءٍ مِنْ أَدَبِ اللِّسَانِ بَعْدَ سَلاَمَتِهِ مِنَ اللَّحْنِ ، كَحَاجَتِهِ إِلَى الشَّاهِدِ وَالمَثَلِ ، وَالشَّذْرَةِ وَالكَلِمَةِ السَّائِرَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيْدُ المَنْطِقَ تَفْخِيْماً ، وَيُكْسِبُهُ قَبُوْلاً ، وَيَجْعَلُ لَهُ قَرَاراً فِيْ النُّفُوْسِ ، وَحَلاَوَةً فِيْ الصُّدُوْرِ ، وَيَدْعُو القُلُوْبَ إِلَى وَعْيِهِ ، وَيَبْعَثُهَا عَلَى حِفْظِهِ ، وَيَأْخُذُهَا بِاسْتِعْدَادِهِ لأَوْقَاتِ المُذَاكَرَةِ وَالاسْتِظْهَارِ بِهِ أَوَانَ المُجَادَلَةِ فِيْ مَيَادِيْنِ المُجَادَلَةِ وَالمُصَاوَلَةِ فِيْ حَلَبَاتِ المُقَاوَلَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيْ الكَلاَمِ كَالتَّفْضِيْلِ فِيْ العِقْدِ ، وَالتَّنْوِيْرِ فِيْ الرَّوْضِ ، وَالتَّسْهِيْمِ فِيْ البُرْدِ ...)) (٢٦) .
وَلَعَلَّ أَهَمَّ عُنْصُرٍ مِنْ عَنَاصِرِهَا الفَنِّيَةِ هُوَ الإِيْجَازُ والاخْتِصَارُ فَهُمَا مِنْ أَكْثَرِ المَزَايَا الَّتِيْ تُزَيِّنُ الأَمْثَالَ ، فَالأَمْثَالُ كَثِيْرَةُ الشُّيُوعِ وَالدَّوَرَانِ عَلَى الأَلْسِنَةِ وَالأَقْلاَمِ مُنْذُ قَدِيْمِ الزَّمَانِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، عِنْدَ جَمِيْعِ الأُمَمِ والشُّعُوْبِ ؛ وَالسَّبَبُ فِيْ ذَلِكَ أَنَّهَا كَلاَمٌ تَتَضَمَّنُ الخِبْرَاتِ وَالمَعَانِي الكَثِيْرَةِ فِي عِبَارَاتٍ شَدِيْدَةِ الإِيْجَازِ ، مِمَّا يَجْعَلُهَا تَتَعَلَّقُ بِالنُّفُوْسِ ، وَتَخِفُّ عَلَى الأَلْسُنِ فَيُرَدِّدُهَا النَّاسُ كَافَةً . وَفِيْ ذَلِكَ يَقُوْلُ " العَسْكَرِيُّ " : ((فَهِيَ مِنْ أَجَلِّ الكَلاَمِ وَأَنْبَلِهِ وَأَشْرَفِهِ وَأَفْضَلِهِ ؛ لِقِلَّةِ أَلْفَاظِهَا ، وَكَثْرَةِ مَعَانِيْهَا ... وَمِنْ عَجَائِبِهَا أَنَّهَا مَعَ إِيْجَازِهَا تَعْمَلُ عَمَلَ الإِطْنَابِ ...)) (٢٧) . فَالإِيْجَازُ سِمَةٌ بَارِزَةٌ مِنْ سِمَاتِ الأَمْثَالِ ؛ لأَنَّ الأَمْثَالَ فِيْ أَصْلِهَا ((مَبْنِيَّةٌ عَلَى الإِيْجَازِ والاخْتِصَارِ ، وَالحَذْفِ والاقْتِصَارِ)) (٢٨) . لِذَلِكَ لاَ نُغَالِيْ إِذَا قُلْنَا إِنَّ هَذِهِ السِّمَةَ – أَي الإِيْجَازَ – مُصَاحِبَةٌ لِلأَمْثَالِ فِيْ جُلِّ أَسَالِيْبِهَا ؛ لِيَخِفَّ اسْتِعْمَالُهَا ، وَيَسْهُلَ تَدَاوُلُهَا ، وَهَذَا مَا نَجِدُهُ فِيْ ظَاهِرَةِ التَّثْنِيَةِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ ، فَقَدْ بُنِيَتْ عَلَى الإِيْجَازِ أَيْضاً ، فَجُلُّ أَلْفَاظِ التَّثْنِيَةِ الَّتِيْ اسْتَعْمَلَتْهَا الأَمْثَالُ العَرَبِيَّةُ لَيْسَتْ مِنْ نَوْعِ المُثَنَّى الحَقِيْقِيِّ ، بَلْ أُلْحِقَتْ بِالمُثَنَّى بِطَرِيْقَةٍ مَا ، وَهُمَا ضَرْبَانِ :
١- مَا اخْتَلَفَ فِيْهِ المُثَنَّيَيْنِ لَفْظاً وَمَعْنىً ، كَـ "القَمَرَيْنِ" لِلشَّمْسِ والقَمَرِ . وَ "العُمَرَيْنِ " لأَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَغَيْرِهِمَا . وَتُسَمَّى هَذِهِ الظَّاهِرَةُ بِظَاهِرَةِ التَّغْلِيْبِ ، فَقَدْ كَانَ ((العَرَبُ يُرَجِّحُوْنَ الأَهَمَّ

وَيُغْلِبُوْنَهُ بِإِجْرَاءِ التَّثْنِيَةِ عَلَى لَفْظِهِ وَحْدَهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُوْنَ مَعْنَى المُثَنَّى شَامِلاً لَهُمَا مَعاً ، مُنْطَبِقاً عَلَيْهِمَا ، وَهَذَا مَا يُسَمَّى بِـ"التَّغْلِيْبِ " ، وَمَا وَرَدَ مِنْهُ مُلْحَقٌ بِالمُثَنَّى ، وَلَيْسَ مُثَنَّى حَقِيْقَةً)) [٢٩] .

إِنَّ الأَصْلَ فِيْ المُثَنَّى – مِثْلَمَا سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ – أَنْ يَكُوْنَ الاسْمَانِ المُرَادِ تَثْنِيَتَهُمَا مُتَّفِقَيْنِ لَفْظاً وَمَعْنًى [٣٠] . وَقَدْ كَثُرَتْ تَثْنِيَةُ مَا اخْتَلَفَا لَفْظاً وَمَعْنًى فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ وَهُوَ المَعْرُوْفُ بِالمُثَنَّى التَّغْلِيْبِيِّ ، أَيْ أَنْ يُغْلَبَ أَحَدُ الاسْمَيْنِ عَلَى الآخَرِ ؛ لِشُهْرَتِهِ ، أَوْ لِخِفَّتِهِ ، أَوْ بِسَبَبِ التَّذْكِيْرِ ، فَتَكُوْنُ التَّثْنِيَةُ بِلَفْظِ أَحَدِهِمَا ، إِلاَّ أَنَّ دَلاَلَتَهُ بَقِيَتْ تَدُلُّ عَلَى الاثْنَيْنِ ، وَالغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ الإِيْجَازُ ، وَاخْتِصَارُ اللَّفْظِ ، عَنْ طَرِيْقِ اخْتِيَارِ لَفْظَةٍ مِنْ لَفْظَتَيْنِ [٣١] . وَهَذَا المَنْطِقُ يَتَّفِقُ مَعَ مَنْطِقِ الأَمْثَالِ القَائِمِ عَلَى الإِيْجَازِ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : ((أَبْهَى مِنَ القَمَرَيْنِ)) [٣٢] ، فَالمَقْصُوْدُ مِنَ القَمَرَيْنِ " الشَّمْسُ وَالقَمَرُ " [٣٣] . وَقَدْ غُلِّبَ لَفْظُ القَمَرِ عَلَى الشَّمْسِ ؛ لأَنَّهُ مُذَكَّرٌ ، وَالعَرَبُ تَغْلِبُ التَّذْكِيْرَ عَلَى التَّأْنِيْثِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَزْدَقِ :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُوْمُ الطَّوَالِعُ [٣٤]

إِذْ أَرَادَ بِالقَمَرَيْنِ ((الشَّمْسَ وَالقَمَرَ فَغَلَّبَ لَفْظَ القَمَرِ ، وَإِنْ كَانَتِ الشَّمْسُ أَعْظَمَ أَمْراً ؛ لأَجْلِ أَنَّ القَمَرَ مُذَكَّرُ اللَّفْظِ وَالشَّمْسَ مُؤَنَّثَةٌ ، وَهُمْ يَغْلِبُوْنَ التَّذْكِيْرَ عَلَى التَّأْنِيْثِ ...)) [٣٥] . فَالتَّغْلِيْبُ كَانَ لِلْمُذَكَّرِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الشَّمْسَ هِيَ سَبَبُ ظُهُوْرِ القَمَرِ وَمَصْدَرُ نُوْرِهِ [٣٦] .

وَمِثْلُ ذَلِكَ أَيْضاً قَوْلُهُم : ((تَسْأَلُنِيْ بِرَامَتَيْنِ سَلْجَماً)) [٣٧] ، فَـ " رَامَة " مَوْضِعٌ بِالقُرْبِ مِنَ البَصْرَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ ضَمُّوا إِلَيْهِ مَوْضِعاً آخَرَ هُنَاكَ فَقَالُوا : " بِرَامَتَيْنِ " عَلَى سَبِيْلِ التَّغْلِيْبِ كَمَا يَقُوْلُوْنَ : "البَصْرَتَانِ" لِلْبَصْرَةِ والكُوْفَةِ ، وَ "المَكَّتَانِ" لِمَكَّةَ وَالمَدِيْنَةِ . وَقَدْ بَيَّنَ المَيْدَانِيُّ (ت٥١٨هـ) ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ((... رَامَةُ : مَوْضِعٌ بِقُرْبِ البَصْرَةِ ... وَضُمَّ "رَامَةُ" إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ هُنَاكَ فَقَالَ : "بِرَامَتَيْنِ" ، كَمَا قَالَ عَنْتَرَة :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ [٣٨]

وَإِنَّمَا هُمَا " وَسِيْعٌ " وَ " دُحْرُض " ، وَهُمَا مَاءَانِ أَوْ مَوْضِعَانِ ؛ فَثَنَّى بِلَفْظِ أَحَدِهِمَا ، كَمَا يُقَالُ : القَمَرَانِ ، وَالعُمَرَانِ)) [٣٩] .

فَهَذِهِ الأَلْفَاظُ إِنَّمَا أُدْخِلَتْ فِيْ بَابِ المُثَنَّى ؛ لأَجْلِ الإِيْجَازِ والاخْتِصَارِ ، فَأَلْفَاظُ المُثَنَّى التَّغْلِيْبِيِّ صَارَتْ كَاللَّفْظِ الوَاحِدِ مِنْ كِثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ والشُّهْرَةِ ، لِذَلِكَ ثُنِّيَتْ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ بَعْدَ تَحَقُّقِ أَمْنِ اللَّبْسِ ؛ لأَنَّ فِيْ ذَلِكَ تَخْفِيْفاً وَتَيْسِيْراً فِيْ اللَّفْظِ وَالكِتَابَةِ . فَتَثْنِيَةُ هَذِهِ الأَلْفَاظِ إِنَّمَا جَاءَتْ لِنُكْتَةِ "الإِيْجَازِ" . وَإِنَّ كِثْرَةَ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ المُثَنَّى فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ يَدْعُوْنَا إِلَى القَوْلِ : إِنَّ هَذَا الشُّيُوْعَ وَالكِثْرَةَ رَاجِعٌ إِلَى مَنْطِقِ الأَمْثَالِ القَائِمِ عَلَى الإِيْجَازِ ، وَهُوَ مَنْطِقٌ يَتَوَافَقُ وَمَنْطِقَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ الهَادِفِ إِلَى الإِيْجَازِ أَيْضاً . وَهَذَا لا يَعْنِيْ أَنَّ هَذِهِ الأَلْفَاظَ لَوْ لَمْ تَكُنْ مُلْحَقَةً بِالمُثَنَّى لَمَا كَانَتْ تَدْخُلُ الأَمْثَالَ ، بِقَدْرِ مَا يَعْنِيْ أَنَّ شُيُوْعَهَا فِيْ الأَمْثَالِ يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذَا الشُّيُوْعَ يَنْسَجِمُ مَعَ مَنْطِقِ الأَمْثَالِ ؛ بِسَبَبِ الإِيْجَازِ الَّذِيْ فِيْهِمَا .

٢- مَا أُلْحِقَتْ بِالمُثَنَّى وَلَيْسَتْ بِمُثَنًّى حَقِيْقِيٍّ ؛ لِعَدَمِ صَلاَحِيَّةِ التَّجْرِيْدِ ، كَـ "العَصْرَيْنِ" ، لِلْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ . وَ "الأَبْيَضَيْنِ" ، لِلشَّحْمِ واللَّبَنِ . و "الرَّافِدَيْنِ" ، لِدِجْلَةَ والفُرَاتِ [٤٠] .

فَقَدْ كَثُرَتْ – فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ – تَثْنِيَةُ مَا لاَ وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَهُوَ يَقْتَرِبُ فِي بَابِهِ مِنَ التَّغْلِيْبِ ، إِلاَّ أَنَّ التَّغْلِيْبَ يَخْتَلِفُ عَنْهُ بِأَنَّ أَحَدَ اللَّفْظَيْنِ مُسَمًّى بِالاسمِ المُثَنَّى . وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الأَلْفَاظِ مُلْحَقَةٌ بِالمُثَنَّى أَيْضاً ، وَلَيْسَتْ مُثَنًّى حَقِيْقِيّاً ؛ بِسَبَبِ فَقْدِهَا أَحَدَى الشُّرُوْطِ الخَاصَّةِ بِالمُثَنَّى الحَقِيْقِيِّ ، وَلَكِنَّهُ يُعْرَبُ إِعْرَابَ المُثَنَّى [٤١] . مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِمْ : ((ذَهَبَ مِنْهُ الأَطْيَبَانِ))[٤٢] ، فَقَدْ قِيْلَ فِي مَعْنَاهُ سِتَّةُ أَقْوَالٍ ، إِذْ قَالُوا : ((إِنَّهُمَا النَّوْمُ و الكَوْمُ ، وَقِيْلَ : الأَكْلُ والنِّكَاحُ ، وَقِيْلَ : الأَكْلُ والشُّرْبُ ، وَقِيْلَ : القُوَّةُ و الشَّهْوَةُ ، وَقِيْلَ الشَّبَابُ والنَّشَاطُ ، وَقِيْلَ : فَمُ الشَّابِ وَفَرْجُهُ ؛ لأَنَّهُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذا أَسَنَّ : " ذَهَبَ مِنْهُ الأَطْيَبَانِ ")) [٤٣] .

وَمِنْهُ قَوْلُهُم : ((أَنْتَ أَشَدُّ وَأَشْجَعُ مِنَ الأَيْهَمَيْنِ)) [٤٤] ، وَقَوْلُهُم فِي الدُّعَاءِ عَلَى الرَّجُلِ : ((سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ الأَيْهَمَيْنِ)) [٤٥] ، وَهُمَا عِنْدَ أَهْلِ الأَمْصَارِ : الحَرِيْقُ وَالسَّيْلُ ، وَعِنْدَ أَهْلِ البَادِيَةِ : اللَّيْلُ وَالسَّيْلُ ، أَو السَّيْلُ المُفَاجِئُ ، أَو الجَمَلُ الهَائِجُ ، أَو المَطَرُ وَالبَعِيْرُ الهَائِجِ [٤٦] .

وَثَمَّةَ أَلفَاظٌ أُخْرَى فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ جَاءَتْ تَثْنِيَتُهَا مَحْمُوْلَةً عَلَى المَعْنَى ، كَقَوْلِهِم : ((لاَيَدْرِيْ أَيَّ طَرَفَيْهِ أَطْوَلُ ؟)) [٤٧] ، فَقَالُوا فِي مَعْنَاهُ : ((وَأَمَّا الطَّرَفَانِ : فَالفَمُ والاسْتُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَة : يُقَالُ : فُلانٌ لاَ يَمْلِكُ طَرَفَيْهِ ، أَيْ اسْتُهُ وَفَمُهُ ، إِذَا شَرِبَ الدَّوَاءَ أَوْ سَكَرَ . وَقِيْلَ فِيْ الطَّرَفَيْنِ : إِنَّهُمَا اللِّسَانُ وَالفَرْجُ ، وَاحْتَجَّ بِمَا جَاءَ فِي الحَدِيْثِ المَرْوِيِّ : " مَنْ حَفِظَ طَرَفَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ ")) [٤٨] . قَالَ "الأَصْمَعِي" فِي بَيَانِ ذَلِكَ أَيضاً : ((مِنْ أَمْثَالِهِم فِي الاسْتِجْهَالِ وَنَفْيِ العِلْمِ ، قَوْلُهُم : " لاَ تَدْرِيْ أيّ طَرَفَيْهِ أَطْوَلُ " ، وَمَعْنَاهُ : لاَ يَدْرِيْ أَنَسَبُ أَبِيْهِ أَفْضَلُ ، أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ ...)) [٤٩] . فَتَثْنِيَتُهُ كَانَتْ مِنْ بَابِ المَجَازِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى الصِّفَةِ ، فَلَمْ يَكُنِ المَقْصُوْدُ تَثْنِيَةَ (طَرَفٍ) ، بَلْ كَانَ المَقْصُوْدُ مَعْنَاهُ .

وَمِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِيْ جَاءَتْ تَثْنِيَتُهَا حَمْلاً عَلَى المَعْنَى ، قَوْلُهُم : ((إِنَّمَا المَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ)) [٥٠] . فَالأَصْغَرَانِ : لا يُرَادُ بِهِ تَثْنِيَةُ (الأَصْغَر) ، وَإِنَّمَا المَقْصُوْدُ : (القَلْبُ وَاللِّسَانُ) ؛ لأَنَّ القَلْبَ وَاللِّسَانَ عُضْوَانِ صَغِيْرَانِ مِنْ أَعْضَاءِ جِسْمِ الإِنْسَانِ ، إِلاَّ أَنَّهُمَا كَبِيْرَانِ مِنْ حَيْثُ القِيْمَةُ وَالأَهَمِّيَّةُ . قَالَ المَيْدَانِيُّ : ((يَجُوْزُ أَنْ يُسَمَّيَا الأَصْغَرَيْنِ ؛ ذِهَاباً إِلَى أَنَّهُمَا أَكْبَرُ مَا فِيْ الإِنْسَانِ مَعْنَىً وَفَضْلاً)) [٥١] . فَجَاءَتِ التَّثْنِيَةُ بِلَفْظِ المَعْنَى عِنْدَمَا وَصَفُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالأَصْغَرِ .

وَقَدْ يُثَنَّى الاسْمَانِ فِي العَرَبِيَّةِ إِذَا اتَّفَقَا فِي اللفْظِ دُوْنَ المَعْنَى [٥٢] . وَوَرَدَ ذَلِكَ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ فِيْ قَوْلِهِم : ((أَبْقَى مِنَ النَّسْرَيْنِ)) [٥٣] ، إِذْ ذَكَرُوا أَنَّ المَقْصُوْدَ بِـ (النَّسْرَيْنِ) : النَّسْرُ الوَاقِعُ ، وَالنَّسْرُ الطَّائِرُ [٥٤] .

وَهَذِهِ الضُرُوْبُ مِنَ الأَلْفَاظِ المُثَنَّاةِ وَرَدَتْ كَثِيْرَاً فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : ((القَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ)) [٥٥] ، وَ ((الدَّهْرُ أَحْذَقُ المُؤَدِّبَيْنِ)) [٥٦] ، وَ ((الأَمَلُ إِحْدَى اللَّذَّتَيْنِ)) [٥٧] ، وَ ((الفَقْرُ أَحَدُ المَوْتَيْنِ)) [٥٨] ، و ((قِلَّةُ العَيَالِ أَحَدُ اليَسَارَيْنِ)) [٥٩] ... إلخ .

وَمِنْهُ أَيضاً مَا يَأْتِي :

- الأَصْفَرَانِ : وَهُمَا الذَّهَبُ والزَّعْفَرَانِ [٦٠] .
- وَالهَيْئَتَانِ : المُالُ وَالجَمَالُ [٦١] .
- وَالأَكْبَرَانِ : الهِمَّةُ وَالنَّفْسُ [٦٢] .
- وَالأَصْمَعَانِ : القَلْبُ الذَكِيُّ ، وَالرَّأْيُ العَازِمُ [٦٣] .
- وَالأَكْرَمَانِ : الحَسَبُ وَالعِرْضُ . وَيُقَالُ : الدِّيْنُ وَالعِرْضُ [٦٤] .
- وَالأَجْوَدَانِ : البَحْرُ وَالمَطَرُ [٦٥] .
- وَالشَّاهِدَانِ :العَيْنُ وَالأَثَرُ [٦٦] .
- وَالثِّقَتَانِ : السَّمْعُ وَالبَصَرُ [٦٧] ... إلخ [٦٨] .

فَمَا جَاءَ مِنْ أَلْفَاظِ التَّثْنِيَةِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ كَانَتْ تَثْنِيَتُهَا إِمَّا مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ ، وَإِمَّا مِنْ بَابِ الحَمْلِ عَلَى المَعْنَى . فَكَانُوا يَغْلِبُوْنَ أَحَدَ الاسْمَيْنِ عَلَى صَاحِبِهِ إِمَّا لِشُهْرَتِهِ ، وَإِمَّا لِخِفَّتِهِ ، فَتَكُوْنُ التَّثْنِيَةُ بِلَفْظِ وَاحِدٍ بَدَلَ اللَّفْظَيْنِ . وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ – بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ – ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوْبِ الإِيْجَازِ ؛ لأَنَّهَا عَمَلِيَّةُ اخْتِزَالِ كَلِمَتَيْنِ فِيْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَغْلِيْبُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى . فَمَنْطِقُ المُثَنَّى أَنْ يُحْذَفَ أَحَدُ الاسْمَيْنِ وَتَبْقَى لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ مَعَ زِيَادَةِ وَحْدَةٍ صَوْتِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَى التَّثْنِيَةِ ، فَيَصْبَحُ الاسْمَانِ اسْمَاً وَاحِداً فِيْ اللَّفْظِ ، وَلَكِنَّ

دَلاَلَتَهَا بَقِيَتْ تَدُلُّ عَلَى الاثْنَيْنِ ، وَهَذَا المَنْطِقُ أوْجَزُ مِنْ ذِكْرِ اللَّفْظَيْنِ وَعَطْفِ أَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ . فَلَجَأَ العَرَبُ إلَى تَطْبِيْقِ هَذَا المَنْطِقِ عَلَى كُلِّ اسْمَيْنِ ، أَوْ مَكَانَيْنِ ، أَوْ شَيْئَيْنِ اشْتَهَرَا وَأَصْبَحَا كالاسْمِ ، أَوِ المَكَانِ ، أَوِ الشَّيءِ الوَاحِدِ ، وَإنْ كَانَا مُخْتَلِفَيْنِ فِيْ اللَّفْظِ ؛ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الإيْجَازِ والاقْتِصَارِ فِيْ الاسْتِعْمَالِ اللُّغَوِيِّ . وَالإيْجَازُ ظَاهِرَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَمَنْطِقٌ لُغَوِيٌّ خَاصٌّ تَلْجَأُ إلَيْهَا اللُّغَةُ فِيْ أَسَالِيْبِهَا كُلَّمَا دَعَتْ إلَيْهِ الحَاجَةُ اللُّغَوِيَّةُ .

إنَّ جُمْلَةَ هَذِهِ الأَلفَاظِ لَيْسَتْ مُثَنًّى حَقِيْقِيَاً ، بَلْ هِيْ مُلْحَقَةٌ بِالمُثَنَّى ؛ لِفَقْدِهَا شَرْطَاً مِنْ شُرُوْطِ المُثَنَّى الحَقِيْقِيِّ . وَيَرَى البَاحِثُ أَنَّ هَذِهِ الأَلْفَاظَ إنَّمَا أُلْحِقَتْ بِالمُثَنَّى مِنْ أَجْلِ الإيْجَازِ ، فَالمُثَنَّى مَبْنِيٌّ عَلَى الإيْجَازِ ؛ لأَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى حَذْفِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ وَالاكْتِفَاءِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ تَدُلُّ عَلَى الاثْنَيْنِ بَعْدَ أَنْ زَادُوا زِيَادَةً تَدُلُّ على التَّثْنِيَةِ ، فَصَارَا فِي اللَّفْظِ اسْمَاً وَاحِداً ، وَفِي الاسْمِ التَّقْدِيْرِ اسْمَيْنِ ، وَتُعَدُّ هَذِهِ العَمَلِيَةُ أَوْجَزَ مِنْ ذِكْرِ اللَّفْظَيْنِ ، وَعَطْفِ أَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ [٦٩] .

وَإنَّ كَثْرَةَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ – المُلْحَقَةِ بِالمُثَنَّى مِنْ أَجْلِ الإيْجَازِ – فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ يَدْعُوْنَا إلَى القَوْلِ : إنَّ الأَمْثَالَ إنَّمَا اخْتَارَتْ مِثْلَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ ؛ لأَنَّهَا أَلْفَاظٌ مُوْجَزَةٌ وَمَبْنِيَّةٌ عَلَى الاخْتِصَارِ . فَالمَعْرُوفُ أَنَّ الأَمْثَالَ عِبَارَاتٌ مُوْجَزَةٌ وَمُخْتَصَرَةٌ أَيضَاً ، إذْ كَيْفَ تَتَحَقَّقُ صِفَةُ الإيْجَازِ للأَمْثَالِ ؟ إذَا لَمْ تَكُ مُخْتَارَاتُهَا مِنَ الأَلْفَاظِ وَالجُمَلِ وَالأَسَالِيْبِ مُوْجَزَةً أَيضَاً ! لِذَلِكَ وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ إنَّ شُيُوْعَ مِثْلَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ خَيْرُ دَلِيْلٍ عَلَى أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الإيْجَازِ والاخْتِصَارِ

المَبْحَثُ الثَّانِيُ
((دَلاَلَةُ ظَاهِرَةِ التَّصْغِيْرِ فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ))

أَوَّلاً : ظَاهِرَةُ التَّصْغِيْرِ فِي العَرَبِيَّةِ :

(أ) تَعْرِيْفُهُ :

عُرِّفَ التَّصْغِيْرُ تَعْرِيْفَاتٍ مُتَعَدِّدَةً ، مِنْ أَشْهَرِهَا :

- هُوَ عَلَمُ القِلَّةِ [٧٠] .
- وَصْفٌ بِالصِّغَرِ [٧١] .
- زِيَادَةٌ دَالَّةٌ عَلَى التَّحْقِيْرِ [٧٢] .

وَنَسْتَطِيْعُ أَنْ نُنَظِّمَ هَذِهِ التَعْرِيْفَاتِ فِي جُمْلَةٍ مُنَسَّقَةٍ شَامِلةٍ عَلَى النَحْوِ الآتِي : هُوَ تَغْيِيْرٌ يَحْدُثُ فِي الاسْمِ عَلَى وِفْقِ صِيَغٍ صَرْفِيَّةٍ مَعْلُوْمَةٍ لِلدَّلاَلَةِ عَلَى مَعْنَى مُعَيَّنٍ .

وَهَذَا التَّغْيِيْرُ فِي بِنَاءِ الْمُصَغَّرِ إنَّمَا كَانَ طَلَبَاً للاخْتِصَارِ والْخِفَّةِ ، ألا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ : رُجَيْلٌ ، هُوَ بِمَعْنَى : رَجُلٌ صَغِيْرٌ ، فَاخْتَصَرْتَ بِحَذْفِ الصِّفَةِ ، وجَعَلْتَ تَغْيِيْرَ الاسْمِ وزِيَادَةَ الْيَاءِ عَلَيْهِ عَلَمَاً عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وأَيْضَاً أَنَّ رُجَيْلاً أَخَفُّ مِنْ رَجُلٍ صَغِيْرٍ [٧٣] . والاسْمُ الْمُصَغَّرُ مُلْحَقٌ بِالْمُشْتَقَّاتِ لأَنَّ فِيْهِ مَعْنَى الصِّفَةِ ، كَمَا رَأَيْنَا ، ولَكِنَّهُ لا يَعْمَلُ فِي الْفَاعِلِ خِلافاً لِسَائِرِ الصِّفَاتِ ، لِمُخَالَفَتِهِ إيَّاهَا مِنْ حَيْثُ دَلالَتُهُ عَلَى الصِّفَةِ والْمَوْصُوْفِ المُعَيَّنِ مَعَاً ، إذْ مَعْنَى رُجَيْلٍ : رَجُلٌ صَغِيْرٌ ، أَوْ رَجُلٌ حَقِيْرٌ ، فَصَارَ كَالْمُفْرَدِ والْمُثَنَّى فِي دَلالَتِهِمَا عَلَى الْعَدَدِ والْمَعْدُوْدِ مَعَاً ، فَإذَا قُلْنَا : رَجُلٌ ، فَهُوَ بِمَعْنَى : رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وإذَا قُلْنَا : رَجُلانِ ، فَهُوَ بِمَعْنَى : رَجُلانِ اثْنَانِ ، ولَيْسَ كَذَلِكَ سَائِرُ الصِّفَاتِ ، فَإنَّهَا لا تَدُلُّ عَلَى الْمَوْصُوْفِ الْمُعَيَّنِ كَالضَّارِبِ والْمَضْرُوْبِ والطَّوِيْلِ ، ويُخَالِفُهَا أَيْضَاً فِي أَنَّ الصِّفَاتِ تَرْفَعُ بِالْفَاعِلِيَّةِ مَا هُوَ مَوْصُوْفُهَا مَعْنَى ، ألا تَرَى أَنَّ فَاعِلَ الصِّفَةِ فِي قَوْلِنَا : (زَيْدٌ قَائِمٌ) هُوَ الْمَوْصُوْفُ نَفْسُهُ ، وأَمَّا الْمَوْصُوْفُ فِي الْمَعْنَى ، أَعْنِي كَوْنَ مَعْنَى رُجَيْلٍ هُوَ رَجُلٌ حَقِيْرٌ ، فَمَفْهُوْمٌ مِنْ لَفْظِهِ ، أَيْ مِنْ لَفْظِ الْمُصَغَّرِ نَفْسِهِ ، فَلا يُذْكَرُ بَعْدَهُ كَمَا لا يُذْكَرُ قَبْلَهُ ، ولِمُخَالَفَتِهِ الصِّفَاتِ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ لَمْ يَعْمَلْ فِي الْفَاعِلِ ، ولَمَّا لَمْ يَعْمَلْ فِيْهِ ، وَهُوَ أَصْلُ مَعْمُوْلاتِ الْفِعْلِ ، لَمْ يَعْمَل أَيْضَاً فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَفْعُوْلِ بِهِ والظَّرْفِ والْحَالِ والتَّمْيِيْزِ وغَيْرِهَا [٧٤] .

(ب) صِيَغُهُ :

وَلِلتَّصْغِيْرِ صِيَغٌ ثَلاَثٌ ، ذَكَرَهَا "سِيْبَوَيْهِ" (ت١٨٠هـ) فِي قَوْلِهِ : ((التَّصْغِيْرُ ... عَلَى ثَلاَثَةِ أَمْثِلَةٍ ، عَلَى فُعَيْلٍ ، وَفُعَيْعِلٍ ، وَفُعَيْعِيْلٍ)) [٧٥] . وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِمْ : " فُلَيْسٌ " في " فَلْسٍ " ، وَ" دُرَيْهِمٌ " فِي " دِرْهَمٍ " ، وَ" دُنَيْنِيْرٌ " فِي " دِيْنَارٍ " . وَهَذِهِ الأَوْزَانُ الثَّلاَثَةُ قَدْ تَرَدَّدَتْ لَدَى مُعْظَمِ اللُّغَوِيِّيْنَ وَالدَّارِسِيْنَ [٧٦] .

وَلَمْ يَقِفْ اللُّغَوِيُّوْنَ عِنْدَ هَذِهِ الصِّيَغِ الثَّلاثِ الشَّائِعَةِ بَيْنَ الدَّارِسِيْنَ ، بَلْ ذَهَبُوا مَذَاهِبَ أُخْرَى ، وَأَتَوْا بِصِيَغٍ غَيْرَهَا . إِذْ يَرَى الكُوْفِيُّونَ أَنَّ الأَلِفَ تَأْتِي بَدَلاً مِنَ اليَاءِ فِي بَعْضِ الصِّيَغِ ؛ وَذَلِكَ تَحْقِيْقاً لِلتَّصْغِيْرِ . وَذَلِكَ نَحْوُ : (هُدَاهُدُ) ، و(دُوَابَّةٌ) ، فَهَاتَانِ الصِّيْغَتَانِ تَصْغِيْرٌ لِـ : (هُدْهُدٌ) ، و(دَابَّةٌ) [٧٧] .

وَيَرَى "أَبُو سَعِيْدٍ السِّيْرَافِي" (ت٣٨٥ هـ) أَنَّ هَذِهِ الصِّيَغَ الثَّلاثَ غَيْرُ شَامِلَةٍ لِصِيَغِ التَّصْغِيْرِ كُلِّهَا ، فَأَضَافَ وَجْهاً رَابِعاً إِلى قَوْلِ "سِيْبَوَيْهِ" ، فَقَالَ : ((... لَوْ ضُمَّ إِلَى هَذَا وَجْهاً رَابِعاً لَكَانَ لَكَانَ يَشْتَمِلُ عَلَى التَّصْغِيْرِ كُلِّهِ ، وَذَلِكَ "أُفَيْعَال" ، نَحْوُ قَوْلِنَا : "أُجَيْمَالٌ وَأُجَيْمَالٌ" ، وَ"أُنَيْعَامٌ وَأُنَيْعَامٌ" ، وَسَائِرُ مَا كَانَ عَلَى أَفْعَالٍ مِنَ الجَمْعِ)) [٧٨] .

(ج) دَلاَلَتُهُ :

لِلتَّصْغِيْرِ أَغْرَاضٌ ثَلاَثَةٌ تَدَاوَلَتْهَا الدِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ [٧٩] :

١- دَلاَلَتُهُ عَلَى التَّحْقِيْرِ : وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِنَا : (رُجَيْلٌ) ، فِيْ (رَجُلٍ) .

٢- دَلاَلَتُهُ عَلَى التَّقْلِيْلِ : نَحْوُ قَوْلِنَا : (دُرَيْهِمَاتٌ) ، فِي (دِرْهَمٍ) .

٣- دَلاَلَتُهُ عَلَى التَّقْرِيْبِ : نَحْوُ قَوْلِنَا : (قُبَيْلَ) ، فِي (قَبْلَ) .

وَأَضَافَ الكُوْفِيُّوْنَ مَعْنَىً آخَرَ لِلتَّصْغِيْرِ ، وَهُوَ التَّعْظِيْمُ ، نَحْوُ : (دُوَيْهِيَةٌ) ، إِلاَّ أَنَّ البَصْرِيِّيْنَ خَرَّجُوْهَا عَلَى التَّقْلِيْلِ ؛ لأَنَّ الدَّاهِيَةَ إِذَا عَظُمَتْ قَلَّتْ مُدَّتُهَا . وَكَذَلِكَ قَوْلُ "أَوْسِ بنِ حَجَرٍ" :

فُوَيْقَ جُبَيْلٍ شَامِخِ الرَّأْسِ لَمْ تَكُنْ لِتَبْلُغْهُ حَتَّى تَكَلَّ وَتَعْمَلا [٨٠]

فَلَفْظَةُ (جُبَيْل) تَصْغِيْرُ (جَبَلٍ) ، وَقَدْ جَاءَتِ اللَّفْظَةُ مُصَغَّرَةً هُنَا ؛ لإِفَادَةِ التَّعْظِيْمِ بِدَلاَلَةِ مَا بَعْدَهَا عَلَيْهَا ، فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُوْنَ الجَبَلُ الشَّامِخُ صَغِيْرَاً ، وَإِنْ جَاءَتْ لَفْظُهَا مُصَغَّرَاً .

وَأَضَافَ بَعْضُهُمْ مَعْنَىً خَامِساً هُوَ التَّحْبِيْبُ وَالتَّلَطُّفُ والشَّفَقَةُ كَمَا فِي نَحْوِ: يا بُنَيَّ ويا أُخَيَّ، وبُنَيَّةٍ ومُسَيْكِيْنٍ [٨١] . وَأَضَافَ البَعْضُ الآخَرُ مَعَانِيَ أُخَرَ لِلتَّصْغِيْرِ ، مِنْهَا : المَلاحَةُ، نَحْوُ: لُطَيِّفٍ ومُلَيِّحٍ . وَالمُبَالَغَةُ [٨٢] . وَهَذِهِ المَعَانِي الأَخِيْرَةُ زَائِدَةٌ عَلَى القَاعِدَةِ العَامَّةِ لِلتَّصْغِيْرِ . فَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهَا العُلَمَاءُ مِنْ مَعَانِي التَّصْغِيْرِ هِيَ المَعَانِي الثَلاَثَةِ الأُوْلَى ، وَمَا سِوَاهَا خُرُوْجٌ عِنِ الدَّلاَلَةِ المَعْرُوْفَةِ لِلتَّصْغِيْرِ عَنْ طَرِيْقِ الكِنَايَةِ ، أَوِ المُبَالَغَةِ فِيْ وَصْفِ الأَشْيَاءِ ، وَمِنْ بَابِ أَنَّ الشَّيءَ إِذَا جَاوَزَ حَدَّهُ جَانَسَ ضِدَّهُ .

ثَانِيَاً : دَلاَلَةُ التَّصْغِيْرِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ :

إِنَّ التَّصْغِيْرَ – مِثْلَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ – هُوَ التَّغْيِيْرُ الحَاصِلُ فِيْ بُنْيَةِ الكَلِمَةِ الأَصْلِيَّةِ ، وَهَذَا التَّغْيِيْرُ يُضِيْفُ مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَةً إِلى الكَلِمَةِ ، مِثْلَ : التَّحْقِيْرِ ، وَالتَّقْلِيْلِ وَالتَّقْرِيْبِ وَالتَّعْظِيْمِ ، وَمِنْ هَذِهِ المَعَانِي فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ مَا يَأْتِي :

١- **التَّحْقِيْرُ :** فَقَدْ وَرَدَ التَّصْغِيرُ الدَّالِ عَلَى التَّحْقِيْرِ وَالقُبْحِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُم : ((أَسَعْدٌ أَمْ سُعَيْدٌ)) [٨٣] ، وَهَذَا القَوْلِ فِي حَاجَةٍ إِلَى بَيَانٍ وتَوْضِيْحٍ ؛ لأَنَّهُ انْتُزِعَ مِنْ مُنَاسَبَتِهِ الَّتِيْ قِيْلَ فِيْهَا ، إِذْ اتَّفَقَ شَارِحُو الأَمْثَالِ ((أَنَّ "ضَبَّةَ بنِ أُدٍّ ... كَانَ لَهُ ابْنَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا "سَعْدٌ" وَالآخَر "سُعَيْدٌ" ، وَأَنَّ إِبِلَ "ضَبَّةَ" نَفَرَتْ تَحْتَ اللَّيْلِ وَهُمَا مَعَهَا ، فَخَرَجَا يَطْلُبَانِهَا ، فَتَفَرَّقَا فِي طَلَبِهَا ، فَوَجَدَهَا "سَعْدٌ" فَجَاءَ بِهَا ، وَأَمَّا "سُعَيْدٌ" فَذَهَبَ وَلَمْ يَرْجِعْ ، فَجَعَلَ "ضَبَّةَ" يَقُوْلُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا رَأَى تَحْتَ اللَّيْلِ سَوَاداً مُقْبِلاً : "أَسَعْدٌ أَمْ سُعَيْدٌ" ، فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلاً)) [٨٤] .

فَـاجْتَمَعَ فِـيْ القَـوْلِ التَّكْبِيْـرُ بِـ"سَعْدٍ" ، وَالتَّصْـغِيْرُ بِـ"سُعَيْدٍ" ، وَهَـذَا مَـا أَدَّى بِبَعْضِـهِمْ إِلَـى تَوْظِيْفِ هَذَا القَوْلِ تَوْظِيْفاً لُغَوِيّاً جَدِيْداً ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ "الحَجَّاجِ" لِـ "قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمِ البَـاهِلِيِّ" وَقَدْ تَزَوَّجَ : " أَسَعْدٌ أَمْ سُعَيْدٌ " ؟ ، فَجَعَلَ التَّصْغِيْرَ دَلاَلَةً عَلَى القُبْحِ والتَّحْقِيْرِ . وَقَدْ أَشَـارَ "المَيْدَانِيُّ" إِلَى ذَلِكَ أَثْنَاءَ شَرْحِهِ لِهَذَا القَوْلِ ، إِذْ قَالَ : ((وَمِنْهُ قَوْلُ "الحَجَّاجِ" لِقُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ وَقَدْ تَزَوَّجَ ، فَقَالَ : "أَسَعْدٌ أَمْ سُعَيْدٌ" ؟ أَرَادَ أَحَسْنَاءُ أَمْ شَوْهَاءُ ، جَعَلَ التَّصْغِيْرَ مَثَلاً لِلقُبْحِ . وَالتَّكْبِيْرَ مَثَلاً لِلْحُسْنِ)) [٨٥] . وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ "أَبِي تَمَّام" :

غَنِيْتُ بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ ، وَحُوِّلَتْ عِجَافُ رِكَابِي عَنْ سُعَيْدٍ إِلى سَعْدِ[٨٦]

أَي عَنِ الجَدْبِ إِلَى الخَصْبِ [٨٧] . إِذْ حَاوَلَ الشَّاعِرُ تَوْظِيْفَ دَلاَلَةِ التَّصْـغِيْرِ فِـي هَذَا المَثَلِ لِلتَّعْبِيْرِ عَنِ التَّحَوُّلِ الَّذِي أَصَابَ عِجَافَ رِكَابِهِ ، فَكَنَى بِـ"سُعَيْدٍ" – وَهُو الدَّالُ عَلَى التَّصْـغِيْرِ – عَنِ السَّيِئِ مِنْ رِكَابِهِ ، وَبِـ"سَعْدٍ" عَنِ الجَيِّدِ مِنْهَا .

فَدَلاَلَةُ التَّصْغِيْرِ فِيْ هَذَا المَثَلِ هُوَ لِتَحْقِيْرِ الشَّيءِ ، والتَّقْلِيْلِ مِنْ شَأْنِهِ ، وَتَقْبِيْحِهِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ حَدَثَ عَنْ طَرِيْقِ التَّغْيِيْرِ فِيْ بُنْيَةِ (سَعْدٍ) ، وَتَحْوِيْلِهِ إِلَى (سُعَيْدٍ) ؛ لِتَوْلِيْدِ بُنْيَةٍ جَدِيْدَةٍ ، وَذَاتُ دَلاَلَةٍ مُغَايِرَةٍ عَنِ دَلاَلَةِ البُنْيَةِ الأَصْلِيَّةِ . لِذَلِكَ فَالتَّصْغِيْرُ عَمَلِيَّةٌ بَارِعَةٌ ابْتَدَعَتْهُ العَرَبِيَّـةُ لِلتَعْبِيْرِ عَنْ مَعَانٍ مُتَجَدِّدَةٍ .

٢- **التَّكْبِيْرُ وَالتَّعْظِيْمُ :** يَأْتِي التَّصْغِيْرُ وَيُرَادُ بِهِ التَّكْبِيْرُ وَالتَّعْظِيْمُ ، إِلاَّ أَنَّ البَصْـرِيِيْنَ لا يَعُدُونَـهُ مِنْ أَغْرَاضِ التَّصْغِيْرِ ، بَلْ ذَهَبُوا إِلَى إِنْكَارِهِ [٨٨] . وَذَهَبَتْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى إِلَى الإِقْرَارِ بِـهِ [٨٩] . فِـيْ حِيْنِ ذَهَبَ الكُوْفِيُّونَ إِلَى أَنَّهُ ((مِنْ بَابِ الكِنَايَـةِ ، فَيُكَنَّـى بِالصِّـغَرِ عَنْ بُلُوْغِ الغَايَـةِ فِـيْ العِظَـمِ ؛ لأَنَّ الشَّيءَ إِذَا جَاوَزَ حَدَّهُ جَانَسَ ضِدَّهُ)) [٩٠] .

وَمِنْ أَمْثِلَةِ تَصْغِيْرِ التَّكْبِيْرِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ قَوْلُهُم : ((أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ)) [٩١] . وَقَدْ بَيَّنَ "المَيْدَانِيُّ" هَذَا المَثَلَ بِقَوْلِهِ : ((الجُذَيْلُ : تَصْغِيْرُ الجِذْلِ ، وَهُوَ أَصْلُ الشَّجَرَةِ . وَالمُحَكَّكُ : الَّذِي تَتَحَكَّكُ بِهِ الإِبِلُ الجَرْبَى ، وَهُوَ عُوْدٌ يُنْصَبُ فِيْ مَبَارِكِ الإِبِلِ تَتَمَرَّسُ بِـهِ الإِبِلُ الجَرْبَى . وَالعُذَيْقُ : تَصْغِيْرُ العَذْقِ وَهُوَ النَّخْلَةُ . وَالمُرَجَّبُ : الَّذِيْ جُعِلَ لَهُ رُجْبَةٌ ، وَهِيَ دِعَامَةٌ تُبْنَى حَوْلَهَا مِنَ الحِجَارَةِ ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ النَّخْلَـةُ كَرِيْمَـةً ، وَطَالَـتْ تَخَوَّفُوا عَلَيْهَا أَنْ تَنْقَعِرَ مِنَ الرِّيَاحِ العَوَاصِفِ)) [٩٢] . فَالتَّصْغِيْرُ فِيْ هَذَا المَثَلِ جَاءَ لِلتَّفْخِيْمِ وَتَلْطِيْفِ المَحَلِّ ، مِثْلَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ "الزَّمَخْشَرِيُّ"[٩٣] ؛ لأَنَّ هَذَا المَثَلَ يُضْرَبُ عِنْدَ الاعْتِدَادِ بِالنَّفْسِ والفَخْرِ بِهَا ، فَالمُرَادُ مِنْـهُ أَنَّـهُمْ يُشْبِهُوْنَ أَبَاهُمْ فِي جَوْدَةِ الرَّأْيِ [٩٤] . وَقَدْ أَشَارَ "المَيْدَانِيُّ" إِلَى دَلاَلَةِ هَذَا التَّصْـغِيْرِ مُسْتَشْـهِداً عَلَيْهِ بِقَوْلِ "لَبِيْدِ بنْ رَبِيْعَةَ العَامِرِيِّ" ، إِذْ قَالَ : ((... وَهَذَا تَصْغِيْرٌ يُرَادُ بِهِ التَّكْبِيْرُ ، نَحْـوُ قَوْلِ لَبِيْدٍ :

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تُصْفَرُّ مِنْهَا الأَنَامِلُ [٩٥]

يَعْنِي المَوْتَ ...)) [٩٦] . فَقَدْ جَاءَ بِكَلِمَـةِ (دُوَيْهِيَـةٍ) مُصَـغَّرَةً ، وَلَكِنْ أَرَادَ بِهَا التَّكْبِيْرَ بِدَلاَلَـةِ مَا بَعْدَهَا عَلَيْهَا ، فَالدَّاهِيَةُ لا يُمْكِنُ أَنْ تَكُوْنَ صَغِيْرَةً ، بَلْ هِيَ كَبِيْرَةٌ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهَا مُصَغَّراً . لِذَا فَدَلاَلَةُ التَّصْغِيْرِ هُنَا التَّكْبِيْرُ وَالتَّعْظِيْمُ ، وَإِنْ كَانَتِ اللَّفْظَةُ مُصَغَّرَةً . وَهَذِهِ الظَّـاهِرَةُ مَوْجُوْدَةٌ فِـيْ العَرَبِيَّةِ ، فَقَدْ تَلْجَأُ العَرَبِيَّةُ إِلَى تَصْغِيْرِ الشَّيءِ العَظِيْمِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُم : ((بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِـيْ)) [٩٧] ، فَقَدْ عَبَّرُوا عَنِ الدَّاهِيَةِ الكَبِيْرَةِ بِلَفْظِ التَّصْغِيْرِ ، وَقَدْ عَلَّلَ "المَيْدَانِيُّ" ذَلِكَ أَثْنَاءَ تَفْسِيْرِهِ لِهَذَا المَثَلِ بِقَوْلِهِ : ((هُمَا الدَّاهِيَةُ الكَبِيْرَةُ وَالصَّغِيْرَةُ ، وَكَنَى عَنِ الكَبِيْرَةِ بِلَفْظِ التَّصْغِيْرِ تَشْبِيْهاً بِالحَيَّةِ ، فَإِنَّهَـا إِذَا كَثُـرَ سُـمُّهَا صَـغَرَتْ ؛ لأَنَّ السُـمَّ يَأْكُـلُ جَسَـدَهَا ...)) [٩٨] . فَهَـذَا التَّصْـغِيْرُ يُفِيْـدُ التَّكْبِيْرَ وَالتَّعْظِيْمَ مِنْ بَابِ الكِنَايَةِ ؛ لأَنَّ العَرَبَ تُكَنِّي بِالصِّـغَرِ عَنْ بُلُوْغِ الغَايَـةِ فِـي العِظَـمِ ؛ لأَنَّ الشَّيءَ إِذَا جَاوَزَ حَدَّهُ انْقَلَبَ إِلى ضِدِّهِ [٩٩] . وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ لَمْ تَكُ غَائِبَةً عَنِ "المَيْدَانِيِّ" ، إِذْ أَشَارَ إِلَيْهَـا فِـي أَثْنَـاءِ تَفْسِيْرِهِ لِهَذَا المَثَلِ فِـي قَوْلِـهِ : ((إِنَّ العَـرَبَ تُصَـغِّرُ الشَّـيءَ العَظِيْمِ ، كَالدُّهَيْمِ ، واللُّهَيْمِ ، وَذَلِكَ مِنْهُمْ رَمْزٌ)) [١٠٠] .

وَنَظِيْرُ ذَلِكَ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ أَيضاً، قَوْلُهُم : ((جُدَيْدَةٌ فِيْ لُعَيْبَةٍ)) [١٠١] فَلَفْظَةُ (جُدَيْدَةٍ) تَصْغِيْرُ (جِدٍّ) ، وَدَلالَةُ التَّصْغِيْرِ هُنَا التَّكْبِيْرُ والتَّعْظِيْمُ ؛ لأَنَّ الجِدَّ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُوْنَ صَغِيْرَاً ، فَتَصْغِيْرُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ جَاءَ تَعْظِيْمَاً وَتَكْبِيْرَاً لَهَا ، مِنْ أَجْلِ إِضْفَاءِ شَيءٍ مِنَ الهَوْلِ والتَّعْظِيْمِ عَلَى هَذَا القَوْلِ . وَقَدْ أَشَارَ "المَيْدَانِيُّ" إلى هَذا القَوْلِ أَيضاً ، فَقَالَ : ((هَذَا تَصْغِيْرٌ يُرَادُ بِهِ التَّكْبِيْر ، أَيْ : جِدٌّ سُتِرَ فِي لَعِبٍ ، كَمَا قِيْلَ : " رُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ اللَّعِبُ ")) [١٠٢] .

٣- **التَّقْلِيْلُ :** وَهُوَ غَرَضٌ آخَرُ مِنْ أَغْرَاضِ التَّصْغِيْرِ ، وَتَصْغِيْرُ التَّقْلِيْلِ يَكُوْنُ عَلَى ضَرْبَيْنِ :
الأول : تَقْلِيْلُ ذَاتِ الشَّيءِ ، نَحْوُ (كُلَيْبٍ) تَصْغِيْرُ (كَلْبٍ) .
الثَّانِي : تَقْلِيْلُ كَمِّيَتِهِ ، نَحْوُ (دُرَيْهِمَاتٍ) تَصْغِيْرُ (دِرْهَمٍ) [١٠٣] .
وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ هَذَا التَّصْغِيْرِ فِي الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ ، قَوْلُهُم : ((إِنَّ العَصَا مِنَ العُصَيَّةِ)) [١٠٤] .
فَـ"العُصَيَّةُ" هُنا تَصْغِيْرُ "عَصَا" ، وَالغَرَضُ مِنْ هَذا التَّصْغِيْرِ هُوَ تَقْلِيْلُ حَجْمِ الشَّيءِ ؛ لأَنَّ مَعْنَى هَذا القَوْلِ هُوَ أَنَّ الشَّيءَ مَهْمَا كَانَ كَبِيْرَاً فَإِنَّ أَصْلَهُ صَغِيْرٌ ، أَوْ أَنَّ الشَّيءَ الكَبِيْرَ مُكَوَّنٌ مِنْ أَشْيَاءَ صَغِيْرَةٍ . إِلاَّ أَنَّ "المَيْدَانِيَّ" ذَهَبَ إِلى أَنَّ ((العُصَيَّةَ : تَصْغِيْرُ تَكْبِيْرٍ)) [١٠٥] . وَهَذَا الرَّأْيُ فِيْهِ نَظَرٌ ، إِذْ لا يَسْتَقِيْمُ المَعْنَى بِهَذَا المَعْنَى ، بَلِ الأَصْوَبُ أَنَّهَا تَصْغِيْرُ تَقْلِيْلٍ ؛ لأَنَّ العَصَا يَجُوْزُ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ العُصَيَّةِ وَلَيْسَ العَكْسُ .
وَنَحْوُ ذَلِكَ أَيضاً ، قَوْلُهُم : ((أَعَزُّ مِنْ كُلَيْبِ وَائِلٍ)) [١٠٦] ، فَـ (كُلَيْبُ) هُنَا تَصْغِيْرُ كَلْبٍ ، فَقَدْ كَانَ لِوَائِلَ بنِ رَبِيْعَةَ كَلْبٌ صَغِيْرٌ يُصَاحِبُهُ فِي مَرْعَاهُ ، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَقَالُوا " كُلَيْبُ وَائِلٍ " ، إِذ المُرَادُ مِنَ تَصْغِيْرِ الكَلْبِ هُنَا تَقْلِيْلُ حَجْمِهِ .

٤- **التَّقْرِيْبُ :** وَمِنْ أَغْرَاضِ التَّصْغِيْرِ أَيضاً ، تَصْغِيْرُ التَّقْرِيْبِ ، وَالتَّقْرِيْبُ قَدْ يَكُوْنُ لِلزَمَانِ ، نَحْوُ : " قُبَيْلَ العَصْرِ " ، وَ" بُعَيْدَ المَغْرِبِ " . أَوْ لِلمَكَانِ وَالمَسَافَةِ ، نَحْوُ : " فُوَيْقَ الرِّحْلَةِ " ، وَ" تُحَيْتَ البَرِيْدِ " [١٠٧] .
وَمَا وَرَدَ مِنْ هَذَا الضَرْبِ مِنَ التَّصْغِيْرِ فِيْ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ ، قَوْلُهُم : ((لَقَيْتُهُ بُعَيْدَاتِ بَيْنٍ)) [١٠٨] ، فَـ (بُعَيْدَاتُ) هُنَا تَصْغِيْرُ (بَعْدَ) ، وَدَلالَةُ التَّصْغِيْرِ فِي هَذا المَثَلِ تَقْرِيْبُ الزَّمَانِ ، فَقَائِلُ هَذَا القَوْلِ يُرِيْدُ أَنْ يَقُوْلَ أَنَّهُ لاقَى صَاحِبَهُ بَعْدَ فِرَاقٍ ، إِلاَّ أَنَّ مُدَّةَ الفِرَاقِ لَمْ تَكُ طَوِيْلَةً ، بَلْ كَانَ يُلاقِيْهِ بَيْنَ حِيْنٍ وآخَرَ . وَقَدْ بَيَّنَ شَارِحُو الأَمْثَالِ ذَلِكَ ، إِذْ قَالَ "أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بن سَلاَّم " : ((وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ يُمْسِكُ عَنْ إِتْيَانِ صَاحِبِهِ الزَّمَانَ ، ثُمَّ يَأْتِيْهِ ، ثُمَّ يُمْسِكُ عَنْهُ ذَلِكَ أَيضاً ، ثُمَّ يَأْتِيْهِ ، ثُمَّ يُمْسِكُ عَنْهُ ... قَالَ : " لَقِيْتُهُ بُعَيْدَاتِ بَيْنٍ ")) [١٠٩] . أَيْ أَنَّهُ كَانَ يُلاقِيْهِ بَعْدَ فِرَاقٍ قَصِيْرٍ .
وَنَحْوُ ذَلِكَ فِيْ الأَمْثَالِ أَيضاً : قَوْلُهُم : ((لَقِيْتُهُ ذَاتَ الزُّمَيْنِ)) [١١٠] ، وَهُوَ تَصْغِيْرُ الزَّمَنِ ، أَيْ لَقِيْتُهُ زَمَناً قَصِيْرَاً ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ "الزَّمَخْشَرِيُّ" بِقَوْلِهِ : ((هُوَ تَصْغِيْرُ الزَّمَنِ ، أَيْ لَقِيْتُهُ مُدَّةَ صَاحِبَةِ هَذَا الاسْمِ الَّذِيْ هُوَ الزُّمَيْنُ ... وَالمَعْنَى : لَقِيْتُهُ زَمَناً قَصِيْرَاً)) [١١١] .
وَنَحْوُ ذَلِكَ أَيضاً ، قَوْلُهُم : ((لَقِيْتُهُ ذَاتَ العُوَيْمِ)) [١١٢] ، فَهُوَ تَصْغِيْرُ العَامِ ، وَالمَعْنَى : أَنَّهُ لَقِيَهُ بَعْضَ عَامٍ ، أَوْ جُزْءً مِنْهُ ، فَهُوَ لا يُرِيْدُ أَنْ يَقُوْلَ عَامَاً كَامِلاً ؛ لِذَلِكَ لَجَأَ إِلَى تَصْغِيْرِ لَفْظَةِ العَامِ لِلدَّلالَةِ عَلَى جُزْءٍ مِنْهُ .

هَوَامِشُ البَحْثِ :

١- ينظر : شرح الحدود النحوية : للفاكهي ٥٤ .
٢- الكهف : ٣٣ .
٣- ينظر : شرح الأشموني ١ / ٧٧ ـ ٧٨ .

٤- آل عمران : ١٥٥ و ١٦٦ ، والأنفال : ٤١ .
٥- ينظر : حاشية الصبان ١ / ١٣٩ . وجامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني ١ / ٩٦.
٦- ينظر شرح الكافية : رضي الدين الاسترآبادي ٤١٣/٣ .
٧- ينظر : شرح الكافية : رضي الدين الاسترآبادي ٤١٣/٣ . وارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيّان الأندلسي ٥٥٥/٢ . وهمع الهوامع : للسيوطي ١٥٠/١ . والنحو الوافي : عباس حسن ١١٢/١ .
٨- همع الهوامع ١٥٠/١ .
٩- ظاهرة التغليب في العربية : د. عبد الفتاح الحموز ٦٦ .
١٠- ينظر : نفسه .
١١- ينظر : الدرة الفاخرة : حمزة الأَصبهاني ٥٣٠/٢ ــ ٥٣١ . وتهذيب اللغة : الأزهري ٤٧٧/٦ . ومجمع الأمثال : الميداني٣٤٤/١ . وارتشاف الضرب ٢/ ٥٥٤ ــ ٥٥٥ .
١٢- ينظر : شرح الكافية ٤١٣/٣ . وارتشاف الضرب ٥٥٥/٢ . وهمع الهوامع ١٥٠/١ . والنحو الوافي : ١١٢/١ .
١٣- فاطر : ١٢ .
١٤- ينظر : تهذيب اللغة ٢٨٥/١ .
١٥- ينظر : الدرة الفاخرة ٥٢٥/٢ .
١٦- ينظر : شرح الكافية ٤١٣/٣ . وارتشاف الضرب ٥٥٥/٢ ــ ٥٥٦ . وهمع الهوامع ١٥٠/١ . وشذا العرف : أحمد الحملاوي ١٠٣ ــ ١٠٤ .
١٧- الزخرف : ٣٨ .
١٨- ينظر : معاني القرآن : الفراء ٣٣/٣ .
١٩- المثنى : أبو الطيب اللغوي ١٢ .
٢٠- ينظر : معاني القرآن : الفراء ٣٤/٣ . ولم أهتد إلى قائل البيت .
٢١- ينظر : المثنى ١٧ .
٢٢- الزخرف : ٣١ .
٢٣- ينظر : إصلاح المنطق : ابن السكيت ٣٩٧ . والمثنى ١٧ . والمخصص : ابن سيدة ٢٢٣/١٣ ــ ٢٢٦ . والمزهر ١٣٨/٢ ــ ١٣٩ .
٢٤- سورة الحج : ٧٣ . وللمزيد من الأمثلة ينظر : النحل :٧٥ ، و ٧٦ ، و ١١٢ . وإبراهيم: ٢٥ . والبقرة : ٢٦ .
٢٥- ديوان المسائل (رسالة المعاش والمعاد) : الجاحظ ٩٧/١ .
٢٦- جمهرة الأمثال : (المقدمة) ٤ .
٢٧- نفسه ٤ ــ ٥ .
٢٨- فصل المقال : أبو عبيد البكري ٥١ .
٢٩- النحو الوافي ١١٢/١ .
٣٠- ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش ١٨٥/٣ ــ ١٨٦ . وشرح الحدود النحوية : الفاكهي ٥٢ .
٣١- ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح : عبد القاهر الجرجاني ٢٠١ .
٣٢- مجمع الأمثال ١١٩/١ .
٣٣- ينظر : نفسه .
٣٤- ديوانه ٥١٩/٢ .
٣٥- المقتصد في شرح الإيضاح ٢٠٢ .
٣٦- ينظر : المثنّى ١٠ . وجنى الجنتين في تمييز المثنيين : المحبي ١٢٦ .

٣٧- مجمع الأمثال ١٢٤/١ .
٣٨- ينظر : ديوانه ٢٠١ . وتمام البيت :
شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرَضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفُرُ عَنْ حَيَاضِ الدَيْلَمِ
٣٩- مجمع الأمثال ١٢٤/١ .
٤٠- ينظر : المزهر ١٣٨/٢ ــ ١٣٩ .
٤١- ينظر : شرح المفصل ١٨٥/٣ ــ ١٨٦ . وارتشاف الضرب ٥٥٤/٢ . وهمع الهوامع ١٤٩/١ ــ ١٥٠ . وشرح الحدود النحوية ٥٢ .
٤٢- مجمع الأمثال ٢٨١/١ .
٤٣- الدرة الفاخرة ٥٣٥/٢ .
٤٤- تهذيب اللغة ٤٧٧/٦ .
٤٥- مجمع الأمثال ٣٤٤/١ .
٤٦- ينظر : الدرة الفاخرة ٥٢٩/٢ . والتهذيب ٤٧٦/٦ ــ ٤٧٧ . والمخصص ٢٢٤/١٣ .
٤٧- مجمع الأمثال ٢١٤/٢ .
٤٨- الدرة الفاخرة ٥٣٢/٢ . وينظر : إصلاح المنطق ٣٩٦ . وتهذيب إصلاح المنطق : التبريزي ٣٠٩/١ . والمزهر ١٣٩/٢ .
٤٩- الأمثال : الأصمعي ٢١٩ . وينظر : الزاهر : ابن الأنباري ٣٢٠/١ . وجمهرة الأمثال ٢٣٤/٢ .
٥٠- الأمثال : أبو عبيد ٩٨ .
٥١- مجمع الأمثال ٢٩٤/٢ .
٥٢- ينظر : المثنى ١٧ .
٥٣- مجمع الأمثال ١١٩/١ .
٥٤- ينظر : مجمع الأمثال ١١٩/١ . وأدب الكاتب : ابن قتيبة ٧٢ ــ ٧٣ . والمزهر ١٣٩/٢ .
٥٥- الدرة الفاخرة ٥١٢/٢ .
٥٦- نفسه .
٥٧- نفسه .
٥٨- نفسه .
٥٩- نفسه ٥١٣/٢ .
٦٠- نفسه ٥١٨/٢ .
٦١- نفسه ٥٢٠/٢ .
٦٢- نفسه .
٦٣- نفسه ٥٢١/٢ .
٦٤- نفسه .
٦٥- نفسه .
٦٦- نفسه ٥٢٢/٢ .
٦٧- نفسه .
٦٨- للمزيد من الأمثلة ينظر : نفسه ٥٢٣ ــ ٥٥٠ .
٦٩- ينظر : شرح المفصل ١٨٥/٣ .
٧٠- ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : الأنباري ٨١٨/٢ .
٧١- ينظر : التكملة : أبو علي الفارسي ٤٨٦ . والأشباه والنظائر : السيوطي ٧٤/١ ــ ٧٦ .
٧٢- ينظر : الأمالي النحوية : ابن الحاجب ٧٦٩/٢ ــ ٧٧٠ .

٧٣- ينظر : أسرار العربية : أبو البركات الأنباري ٣١٣ . وشرح المفصل ١١٣/٥ . وشرح شافية ابن الحاجب ١٩٢/١.
٧٤- ينظر : شرح الكافية : ١٨١/٢-١٨٢.
٧٥- الكتاب : سيبويه ١٠٥/٢ .
٧٦- ينظر : التكملة ٤٨٧ . وشرح الشافية ١٤/١ . وشذا العرف ١٢٤ . والواضح في النحو والصرف : د. محمد خير الحلواني ٨٨ – ٩٢ . والعربية الفصحى : هنري فليش ٧٧ . وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ٣٤١ .
٧٧- ينظر : أمالي الزجاجي ٢٧ . وشرح المفصل ٣٩٤/٣ – ٣٩٥ . والأشباه والنظائر ٢٩٣/٣ .
٧٨- كتاب سيبويه ١٠٦/٢ (الهامش) . وينظر : شرح المفصل ٣٩٨/٣ . وحاشية الصبان ١٦١/٤-١٦٢ . ومنهج أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه : د. محمد عبد المطلب البكاء ٦٧ .
٧٩- ينظر : شرح المفصل ٣٩٤/٣ – ٣٩٩ . والمقرّب : ابن عصفور ٤٣٥ . وأبنية الصرف في كتاب سيبويه ٣٤٠ .
٨٠- ديوانه ٨٧ . وينظر : شرح الأشموني ١٥٧/٤ .
٨١- ينظر : شرح التصريح : خالد الأزهري ٣١٧/٢ . وشرح المفصل ٣٩٤/٣ – ٣٩٩ . والمقرّب ٤٣٥ .
٨٢- ينظر : شرح المفصّل ٣٩٤/٣ – ٣٩٩ . والمُقرّب : ابن جنّي ٤٣٥ . وحاشية الخضري ١٦٣/٢ .
٨٣- أمثال العرب : المفضّل الضبّي ٤٧ . وينظر : الأمثال : أبو عبيد ١٣٩ . والفاخر : المفضّل بن سَلَمَة ٥٩ . وجمهرة الأمثال ١٥٥/١ . ومجمع الأمثال ٣٢٩/١ . والمستقصى في أمثال العرب : الزمخشري ٦٨/١ .
٨٤- نفسه .
٨٥- مجمع الأمثال ٣٢٩/١ .
٨٦- ديوانه ٦٥/٢ .
٨٧- مجمع الأمثال ٣٢٩/١ .
٨٨- ينظر : شرح المفصّل ٣٩٤/٣ – ٣٩٥ . والمُقرّب ٤٣٥ . وأبنية الصرف ٣٤٠ .
٨٩- ينظر : النحو الوافي ٦٨٣/٤ . والمنهج الصوتي للبنية العربية : د. عبد الصبور شاهين ١٤٣.
٩٠- ينظر : شرح الشافية ١١٩/١ .
٩١- مجمع الأمثال ٣١/١ .
٩٢- نفسه ٣١/١ – ٣٢ .
٩٣- المستقصى ٣٧٧/١ .
٩٤- ينظر : مجمع الأمثال ١٧/١ .
٩٥- لم أهتدِ إلى هذا البيت في ديوانه .
٩٦- مجمع الأمثال ٣٢/١ .
٩٧- نفسه ٩٢/١ .
٩٨- نفسه .
٩٩- ينظر : شرح الشافية ١٩١/١ .
١٠٠- مجمع الأمثال ٩٢/١ .
١٠١- نفسه ١٧٠/١ .
١٠٢- نفسه .

١٠٣- ينظر : شرح التصريح ٣١٧/٢ . وشرح المفصل ٣٩٤/٣ ــ ٣٩٥ . والمقرب ٤٣٥ .
١٠٤- مجمع الأمثال ١٥/١ .
١٠٥- نفسه ١٧/١ .
١٠٦- نفسه ٤٢/٢ .
١٠٧- ينظر : شرح التصريح ٣١٧/٢ . والمقرّب ٤٣٥ .
١٠٨- الأمثال : أبو عبيد ٣٧٩ . وينظر : مجمع الأمثال ١٩٦/٢ . والمستقصى ٢٨٦/٢ .
١٠٩- المصادر نفسها .
١١٠- المستقصى ٢٨٦/٢ .
١١١- نفسه ٢٨٦/٢ ــ ٢٨٧ .
١١٢- نفسه ٢٨٧/٢ .

مَصَادِرُ البَحْثِ وَمَرَجِعُهُ

١- أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
٢- أدب الكاتب : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطـ السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٩٦٣م .
٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيَّان الأندلسي (ت٦٨٦هـ) ، تحقيق وشرح ودراسة : د. رجب عثمان محمد ، ود. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٤- أسرار العربية : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحـ :د . فخر الدين صالح قدارة ، دار الجيل ب، بيروت، ط١، ١٩٩٥م .
٥- الأشباه والنظائر : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحـ: د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
٦- إصلاح المنطق : أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت٢٤٤هـ) ، شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، مصر ، ١٩٧٠م .
٧- أمالي الزجاجي : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ) ، تحـ: عبد السلام هارون ، مصر ، ط١ ، ١٣٨٢هـ .
٨- الأمالي النحوية : أبو عمرو عثمان الحاجب (ت ٦٤٦هـ) ، تحـ: د. فخر صالح سليمان قدارة ، دار الجيل ، بيروت ، ودار عمار ، الأردن ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
٩- الأمثال : أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ) ، تحـ: د. عبد المجيد قطامش ، السعودية ، ١٩٨٠م .
١٠- الأمثال للأصمعي (جمع وتحقيق ما تبقّى من تراثه في الأمثال) : جمع نصوصه وحقّقها وقدّم لها : د. محمد جبّار المعيبد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٠م .
١١- أمثال العرب : المفضّل بن محمد الضبِّي (ت١٧٩هـ) ، تحـ: د. إحسان عباس ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م .
١٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط٤ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .

١٣- التكملة : أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت٣٧٧هـ) ، تحـ: د. كاظم بحر المرجان ، مطـ مديرية دار الكتب للطبع والنشر ، جامعة الموصل ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
١٤- تهذيب إصلاح المنطق : أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ) ، تحـ: د. فوزي عبد العزيز مسعود ، بغداد ، ١٩٩١م .
١٥- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تحـ: عبد السلام هارون وآخرين ، مصر ، (د – ت) .
١٦- جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
١٧- جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم ، و عبد المجيد قطامش ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٨- جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنَّيين : محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت١٠٦١هـ) ، بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، ط١ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٩- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل : الشيخ محمد الدمياطي الشافعي الشهير بالخضري (ت١٢٨٧هـ) ، مطـ مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م .
٢٠- حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : محمد بن علي الصبَّان (ت١٢٠٥هـ) ، مصر ، ١٩٤٧م .
٢١- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة : حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت٣٥١هـ) ، تحـ: عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢م .
٢٢- ديوان أبي تمّام ، بشرح الخطيب التبريزي : تحـ: محمد عبده عزام ، مطـ دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، (د – ت) .
٢٣- ديوان أوس بن حجر : تحـ: د. مجمد يوسف نجم ، بيروت ، ١٩٦٠م .
٢٤- ديوان عنترة بن شدّاد : تحـ: محمد سعيد مولوي ، بيروت ، ١٩٧٠م .
٢٥- ديوان الفرزدق : تحـ: عبد الله إسماعيل الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٦م .
٢٦- ديوان المسائل : عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ـ بيروت ، (د – ت).
٢٧- الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، تحـ: حاتم صالح الضامن ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٢٨- شذا العرف في فنِّ الصرف : أحمد الحملاوي ، علّق عليه ووضع فهارسه : د. أحمد أحمد شتيوي ، دار الغد الجديدة ، المنصورة ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٢٩- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) : الأشموني (ت٩٢٩هـ) ، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، مصر ، ١٩٣٩م .
٣٠- شرح التصريح على التوضيح : خالد بن عبد الله الأزهري (ت٩٠٥هـ) ، البابي الحلبي ، القاهرة ، (د – ت) .
٣١- شرح الحدود النحوية : عبد بن أحمد علي الفاكهي (ت٩٧٢هـ) ، دراسة وتحقيق : د. زكي فهمي الآلوسي ، الموصل ، (د – ت) .
٣٢- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاسترآبادي (ت٦٨٦هـ) ، تحـ: محمد نور الحسن وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
٣٣- شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين الاسترآبادي ، تحـ: أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د – ت) .
٣٤- شرح المفصّل : موفق الدين أبي البقاء بن يعيش (ت٦٤٣هـ) ، تحـ: د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

أحيانا	نادرا

٣٥- ظاهرة التغليب في العربية : د. عبد الفتاح الحموز ، منشورات جامعة مؤتة ، ط١ ، ١٩٩٣م .
٣٦- العربية الفصحى نحو بناء لغويٍّ جديد : الأب هنري فليش اليسوعي ، تعريب وتحقيق : د. عبد الصبور شاهين ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٦م .
٣٧- الفاخر : المفضّل بن سلمة بن عاصم (ت٢٩١هـ) ، تحـ: عبد العليم الطحاوي ، مراجعة : محمد علي النجار ، مصر ، ١٩٦٠م .
٣٨- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ) ، تحـ: د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
٣٩- كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحـ: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د – ت) .
٤٠- المثنّى : أبو الطيّب اللغوي (ت٣٥١هـ) ، تحـ: عزالدين التنوخي ، دمشق ، ١٩٦٠م .
٤١- مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت٥١٨هـ) ، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطـ السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
٤٢- المخصص : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة (ت٤٥٨هـ) ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، (د – ت) .
٤٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي ، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٤٤- المستقصى في أمثال العرب : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، حيدر آباد ، الهند ، ١٩٦٢م .
٤٥- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، (د – ت) .
٤٦- المُقتصد في شرح الإيضاح : عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحـ: د. كاظم بحر المرجان ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ١٩٨٢م .
٤٧- المُقَرَّب : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ) ، تحـ: أحمد عبد الستار الجواري ود. عبد الله الجبوري ، مطـ العاني ، بغداد ، ١٩٨٦م.
٤٨- منهج أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه : د. محمد عبد المطّلب البكاء ، دار أفاق عربية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠م .
٤٩- المنهج الصوتي للبنية العربية : د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠م .
٥٠- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة : عباس حسن ، الناشر آوندانش للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٥١- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : السيوطي ، تحـ: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د – ت) .
٥٢- الواضح في النحو والصرف (قسم الصرف) : محمد خير الحلواني ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .